الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامـــعـــة أدرار

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جماليات الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية

رواية" تلك المحبة" للحبيب السايح أنموذجا

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الما ستر تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبين :

- عبد العالي بوعزة.
- الصديق احمد.

إشراف :

- احمد مولاي لكبير

السنة الجامعية :1438 - 1439

2017 - 2018 م

إهداء

أهدي ثمرة عملي المتواضع صدقة جارية إلى روح أبي الطاهرة.

كما أهدي عملي هذا إلي التي حملتني في بطنها و ألمتني بعطفها و حنانها.....أمي الغالية.

إلي من قاسموني الرحم الإخوة أدام الله محبتهم.

إلي رفيقة االعمر الزوجة الكريمة.

إلي رفقاء الدراسة دفعة تخرج2018/2017م.

إلى جميع الأصدقاء وكل من يعرفني من قريب أو من بعيد.

عبد العالي

إهـــــــداء

اهدي ثمرة عملي الى اغلى ما عندي المرحومة :امي الحنونة والى ابي الغالي والى اخواني وزوجاتهم وابنائهم والى اخواني الحاج بوجمعة والحاج محمد وعبدالكريم .

الى زوجتي وابنائي البراعم على التوالي :عبدالمؤمن –ابراهيم –خديجة –محمد الطاهر –ماريا

الى احفاد اعمامي العربي ,محمد ، احمد وابنائهم وبناتهم الى خالاتي واخوالي وابناء عماتي وبنيهم

الى كافة عمال بلدية فتوغيل

الى زملائي في العمل مصلحة الشؤؤن الاجتماعية والحالة المدنية

الى طلبة قسم اللغة العربية

احمد الصديق

تشكرات

قال تعالى (ولئن شكرتم لأزيدنكم) أولاً نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا على أن وفقنا في هذا العمل راجين منه أن يجعله في ميزان حسناتنا وأن يأجرنا على عملنا هذا بفضله لا بعد

فلله الشكر و الحمد و الفضل و المنة

عملاً بحديث أشرف البشر عليه الصلاة و السلام "من لم يشكر الناس لا يشكر الله" نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا على إتمام هذا العمل ومن بينهم:

- ✓ الأستاذ المشرف الدكتور مولاي لكبير .
- ✓ موظفي كلية الأدب العربي بجامعة ادرار من أساتذة وإداريين .
- ✓ طلبة السنة الثانية ماستر دفعة تخرج 2018/2017.
- ✓ و إلى كل من ساعدنا في هذا العمل وتقدم لنا بنصيحة.

جزاهم الله عنا كل خير.

خطة البحث

تشكرات

إهداء.

مقدمة .

مدخل.

الفصل الأول : مقاربة نظرية : أهمية الفضاء في الخطاب السردي

المبحث الأول: الفضاء لغة و اصطلاحا ، القدامى و المحدثين.

المبحث الثاني: انواع الفضاء.

المبحث الثالث : علاقة المكان (الفضاء) بالإنسان.

المبحث الرابع : دور الفضاء في الخطاب السردي

الفصل الثاني : الجمالية في رسم معالم الفضاء الصحراوي.

المبحث الأول: تعريف الجمالية لغة و اصطلاحا (العرب و الغرب) .

المبحث الثاني: دور الوصف في رسم معالم الجمالية.

المبحث الثالث: جدل الفضاء و الزمان و الشخصيات في الاعمال الروائية .

المبحث الرابع: دور اللغة في رسم معالم الجمالية

الفصل الثالث : نماذج من رواية تلك المحبة .

المبحث الاول: نبذة مختصرة عن المؤلف المؤلف .

المبحث الثاني: التوظيف الجمالي في العمل السردي من خلال رواية تلك المحبة .

المبحث الثالث : زخم الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية.

المبحث الرابع: ملخص الرواية

- خاتمة

- قائمة المصادر و المراجع
- قائمة الفهرس

مقدمة :

إذا كانت الرواية الكلاسيكية تضع القارئ يسير على نمط واحد من التفكير وتأخذ بيده إلى نهاية المشهد الروائي. فان الرواية الجديدة تعمل على كسر ذاك الحاجز وتطرح بديلا له.

و الرواية بصفة عامة نصا من النصوص التي يرسمها لنا أي باحث لسرد واقع ما، ومعالجة قضايا متنوعة, وهي كذلك فن من الفنون الجمالية التعبيرية كالقصة, والمسرحية...إلا أن ما يجعل الرواية تتصف بالجمالية يعود لكونها تتسم بمميزات وخصوصيات في قوالب متنوعة ومختلفة انطلاقا من ما كانت عليه في القديم أو ما يطلق عليه (الرواية الكلاسيكية). بيد أن في العصر الحديث نجدها خرجت عن تلك القيود وقفزت قفزتا قوية نحو التعبير عن متطلبات الفرد والمجتمع وذلك بتصوير ومعالجة هموم الإنسان والقضايا الاقتصادية والاجتماعية ... الخ بجمالية فنية لا تخرج عن الواقع ممزوجة بالخيال الفني والتصوير الجمالي غير مهملة للسرد و المشهدية .

وقد نجد من سبقنا لهذا العمل الفني الشاسع الدراسة من زوايا متنوعة ومختلفة الدراسة ضمن روايات جزائرية مكتوبة بالفرنسية وقليلها بالعربية كرواية الدروب الشاقة لمولود فرعون التي هي عبارة عن يوميات وأي يوميات تتحدث عنها هاته الرواية بل هي يوميات أعمر. وأعمر هو الشخصية الجزائرية التي عانت الأمرين سواء من الداخل والخارج. وكل هذا عبر عنه التغيير الصادق بأسلوب شيق وجذاب وهذا ما دفعنا إلى الدراسة في الجانب الجمالي للفضاء الصحراوي والذي وجدنا فيه قلة البحث والدراسة

و مما دفع فينا روح البحث و مواصلته و الغوص في حيثياته تلك الدراسات التي سبقنا إليها غيرنا في طرق باب المكانية في الرواية الجزائرية و خاصة في رواية بنية النص السردي و هي عبارة عن مذكرة ماجستير أعدتها الباحثة أسمهان فلاقي حول روايات هموم الزمن .

وقد حاولت في دراستها التركيز على بنية الخطاب الروائي المتمثلة في الجمال وأثره على النص وكذلك نجد العنوان العريض لمذكرة ماجستير للدكتور مولاي الكبير أحمد الموسومة بعنوان: العناصر المكانية والثنائيات المشهدية في عالم محمد مفلاح.

إنكسار أنموذجا ونجده قد ركز فيها على بنية المكان ضمن النص السردي ولم يهمل الجانب الفني .

ومن بين الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع:

- إكتشاف الغرابة الموجودة داخل النص وتوقيع الحقائق النصية.
- رسم الجمالية في النص الروائي تلك المحبة.
- فك شفرات النص من خلال الحدث ،الزمان ، المكان.

فالجمالية وشساعة الفضاء الصحراوي بث فينا روح البحث والكشف عن الأسرار الغامضة في توات منذ القدم فتلك المحبة نص سردي غامض لا يفهمه قارئ من العنوان مباشرة بل ينبغي أن يكون قد عاش الأحداث واتصل بالوقائع حتى ترسم له في مخيلته كيف كانت وكيف ينبغي أن تكون وكيف هي الآن وما ينبغي أن تكون عليه.

وقد عملت الرواية الكلاسيكية على سرد الأحداث بمزج من الخيال كما في الدراما والمسرح ووسائل التعبير.

فالجمالية والفضاء الصحراوي مزج بين الحقيقة نجسد من خلال السرد الحكائي بين الشخصيات.

وقد حاولنا من خلال هذا الموضوع الإجابة على التساؤلات التالية:

- كيف نظر القدامى و المحدثين للفضاء و الجمالية .
- ما أهمية الفضاء الصحراوي و ما دوره في الخطاب السردي .-
- ما دور اللغة في رسم معالم الجمالية
- ما علاقة الإنسان بالفضاء.
- ما دور الفضاء الصحراوي في رسم معالم الجمالية في الرواية الجزائرية
- أين تتجلى الجمالية من خلال هذا الفضاء الشاسع.

ولإثراء هذا الموضوع رسمنا خطة منهجية كالآتي:

مقدمة و مدخل وفصلين نظريين و فصل تطبيقي، ومنه إلى الخاتمة . وقد عنون الفصل الأول بمقاربة نظرية أهمية الفضاء في الخطاب السردي قسمناه إلى أربع مباحث تناولنا فيه تعريف الفضاء لغة و اصطلاحا، و أنواعه، و علاقة المكان (الفضاء)بالإنسان، ثم دور الفضاء في الخطاب السردي.

وفي الفصل الثاني الموسوم بعنوان الجمالية في رسم معالم الفضاء الصحراوي حاولنا من خلال مباحثه الأربعة تعريف الجمالية عند العرب و عند الغرب ،و دور الوصف في رسم معالم الجمالية ،وفي الفصل الثالث حاولنا إثارة الجدل و تسليط الضوء على الزمن و المكان و الشخصيات في الأعمال الروائية، و بعدها تطرقنا إلى دور اللغة في رسم معالم الجمالية .

أما الفصل الأخير فقد خصصناه للتطبيق على رواية تلك المحبة و التي تطرقنا فيها إلى التعريف بالمؤلف و المؤلف و التوظيف الجمالي في العمل السردي، وبعدها تناولنا زخم الفضاء الصحراوي في الأعمال الروائية الجزائرية و ملخص الرواية، و بعد كل هذا توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات صيغت على شكل نقاط في الخاتمة

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي لكونه يناسب سرد أحداث الرواية، بالية التحليل لبعض الظواهر الموجودة في الفضاء الصحراوي، ومما يسّر علينا دراستنا على المصادر والمراجع المتنوعة والتي تصب في هذا المنوال منها:

- الحبيب السايح رواية " تلك المحبة".
- عبد الملك مرتاض "في نظرية الرواية " .
- اطروحة دكتوراه "دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيمائية "للطالب عبدالله توام.
- حميد لحميداني "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ".
- حسن بحراوي "بنية الشكل الروائي ".
- حسن نجمي "شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية "
- ومجموعة من المجلات والدوريات كمنشورات اتحاد كتاب العرب ومجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية .

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في عملنا هذا هي شاسعة الموضوع وتداخله مع بعض العناوين الشيء الذي جعلنا في حيرة لاختبار المعلومة المناسبة .

وأخيرا فانه ليس بوسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل بعد الله عز وجل إلى الأستاذ المشرف الدكتور مولاي لكبير على تفضله علينا بتأطير هذا البحث و وقوفه معنا و مرافقته لنا أثناء البحث بالنصائح و الإرشادات و التوجيهات فنشكره جزيل الشكر على صبره معنا. كما نتقدم بالشكر للسادة الأساتذة المشرفين على مناقشتهم هذا البحث المتواضع لتقويمه و تصويبه خدمة للعلم و المعرفة.

مدخل

تُعَدّ الرواية نصا يعبر فيه الروائي عن مشاعره بطريقة أو إستراتيجية مختلفة ومتنوعة ويمكن الإشادة او التعبير بأنه نصا ميكروسرديًا نحلله أو نصفه أو ننقده بعدة طرق ومناهج تقبل التفكيك والتركيب، وذلك حسب متطلبات الرواية والظروف التي سردت فيها ويتضح ذلك من خلال التحليل والتأويل، والحديث عن جماليات الفضاء الصحراوي وبالخصوص في الرواية الجزائرية من الصعب التدقيق في عدة مفاهيم ومصطلحات، وهذا ما دفعنا إلى اختبار هاته الرواية كنموذج وما يحويانه من سرد فمن المفتاح العنوان للنص "جمالية الفضاء الصحراوي " يبدو للقارئ أن الموضوع شاسع وقد سبقنا إليه العديد من الدارسين. بالاعتماد على المنهج الوصفي بالية التحليل للظاهرة الجمالية وإضفاء الرأي الشخصي حول رواية "الحبيب السايح "مع مراعاة الضوابط التي ينبغي للمحلل أن يسير وفقها، وذلك منخلا قراءة في العنوان الافتتاحي ثم مقدمة الموضوع وفصوله وصولا إلى الخاتمة .

ومنه فان الشخصيات والزمان والمكان في أية رواية يمثلان المفتاح الأساسي لرسم معالم الجمالية أيا كانت ومن ثم كان ولابد على الدارس أو الباحث إن لا ينطلق من لا شيء ليصل إلى شيء أعظم واعني بذلك فان الجمالية موهبة من الخالق يهبها لمن يشاء ولا يكتشف سرها إلا من هو جميل ويعشق الجمال فتفاعل العناصر "الشخصيات، الأحداث، الزمان، المكان "يرسم للمتلقي جمالية يكتسبها من أي فضاء كان فيه واعني بذلك من أي مكان وفي أي زمان و إلا كيف نستطيع التصديق بان ادم خلق من تراب رغم انه مجسم من لحم وعظم دون تحديد الجمالية الروحية الموجودة في أعضاءه ،فالفضاء يساعد على فهم الشخصية في الفترة الموجودة فيها والزمان التي تعيشه، وبالتالي فان الرواية تكتسي جماليتها من هذا الفضاء .

ويمكن إيجاد الجمالية خاصة في الفضاء الصحراوي لان الفضاء الذي نعالجه نحن محدد ومقصور على الصحراء والصحراء شاسعة ومتنوعة القوالب والتضاريس .

فالصحراء في إفريقيا ليست كصحراء أسيا وصحراء أوربا ليست صحراء أمريكا وقص على ذالك حتى لا نحصر الصحراء في حيز معين بل هناك شروط وقيود ومتطلبات حتى أطلق عليها اسم الصحراء والأصل فيها التصحر والصحر .

إن الفضاء الصحراوي الذي نحن بصدد الدراسة عنه يوجد في شمال القارة الإفريقية ومتقلب الظواهر ولذالك نجد أن الشخصيات تتمدد وتدور وفق الزمان والمكان .

ونظرا لأهمية جمالية الفضاء الصحراوي الجزائري فإننا قد حددنا او وضعنا له حيز بالنموذج لرواية تلك المحبة "للحبيب السائح"، التي تدور رحاها حول الفضاء الصحراوي الجزائري باعتبار أن الأحداث والشخصيات متنوعة منها ومختلفة الديانات والفضاءات. إلا أن جل الوقائع أجريت أحداثها على ارض توات وقد ترجع بنا الذاكرة إلى الحديث عن العرق وأسماء الشخصيات والأماكن وبعض المفردات المحلية التي لا تجدها إلا في منطقة توات ،ومجمل القول أن الفضاء في الرواية يتجسد في المكان الذي وقعت فيه الأحداث وهو الذي يحدد لنا الجمالية الحقيقية للواقعة وهذا ما ذهب إليه الناقد "حسن بحراوي "في المقدمة التي وضعها لكتاب "الفضاء الروائي " نفهم من هذا القول بان التقاء وتشكيل كل هاته العناصر أي انه لا يمكن لأية عنصر وهو مستقل ان يعطينا جمالية كيفما كانت أو يرسمها لنا بل لا بد من تظافر وتشابك وتشابه العناصر والأحداث على حسب الزمان والمكان ترسم لنا جمالية يراها كل كائن على حسب فكره .

الفصل الأول: مقاربة نظرية : أهمية الفضاء في الخطاب السردي

المبحث الأول: الفضاء لغة و اصطلاحا ، القدامى و المحدثين.

المبحث الثاني: انواع الفضاء.

المبحث الثالث : علاقة المكان (الفضاء) بالإنسان.

المبحث الرابع : دور الفضاء في الخطاب السردي

1- المبحث الأول : أهمية الفضاء في الخطاب السردي .

يحتل الفضاء مكانة مهمة في بنية الرواية ولقد نبه مختلف الباحثين إلى التهميش الذي عومل به وأشاروا إلى النية في مختلف الدراسات التي تناولت الرواية إلى أن جاءت دعوات حديثة بدأت تقر وتنوه بأهمية مكون الفضاء في بناء الرواية ،ولقد تبلورت بصفة جدية على يد دعاة التجديد في الرواية الجديدة وهذا نظرا لما ذهب به معظم النقاد في تقييم نتائج هؤلاء الدعاة على بناء الرواية مما جعل الأنظار تتحول إلى الفضاء .

و ترى الدكتورة نصيرة ازوزو من جامعة بسكرة بان " الدراسات حول الفضاء قليلة جدا خاصة عند المنتحين الأوائل أي الغرب ،وما كتب عنه ما هو إلا اجتهادات نظرية وشخصية ووجهات نظر مختلفة ، ثم إن مصطلح الفضاء لم يتلق اهتماما كبيرا كالذي حظيت به بقية المكونات السردية. وعلى الرغم من أن مكون الفضاء مكون رئيسي في حياتنا ولا يستطيع أحدا إنكاره وإنكار دوره الفعال إلا أن الكتابات الغربية وقفت حائرة اتجاهه وأقرت بمحدودية فكرها اتجاهه وظل بذلك عنصر هامشيا ومقصيا ضمن حقل الانشغال الأدبي"[1].

إن مشكلة الفضاء مشكلة متداخلة ومتشابكة تبدأ من المصطلح نفسه الذي لا زال مضطربا فلا يوجد اتفاقا عاما حول مفهومه، وليس هناك نموذج نظري دقيق وواضح يبين دلالاته الحقيقية .

ويقول في ذلك حسن بحراوي "ولان كان المكان لصيق بالإنسان وهو الصورة التي تعكس وجوده،فان العالم الخارجي هو الذي يجسد الإدراك بالأشياء فينتج في ذلك تعابير مختلفة. والفضاء كذلك على هذا النحو صورة واحدة تتحكم فيه زوايا مختلفة لإنتاج تعابير مختلفة وفي هذا يقول حسن بحراوي :" يمكننا النظر إلى المكان بوصفة شبكة من العلاقات والروايات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها البعض لتشكل الفضاء ."[2]

ومن ثم نجد إن الفضاء لا يعتمد في تشكيله على المكان وإنما يعتمد على حضور العينات المهيأة التي تتجمع لتعكس مظاهره وتؤالف بينها.

---

[1] إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر .ازوزو نصيرة ، جامعة بسكرة، جانفي، 2010 ،مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية العد د السادس ، ص2.

2 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ،الفضاء الزمن الشخصيات، ط2، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع الدار البيضاء المغرب ، بيروت لبنان ، ص32

ويقول **لوري روتمان** "المكان يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب ...ولم يعد مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية كما لا يعتبر معادلا كنائيا للشخصية الروائية فقط ولكن أصبح ينظر إليه على انه عنصر شكلي وتشكيلي من العناصر الأدبية هذا بالإضافة إلى أن المكان كان ولا يزال يلعب دورا هاما في تكوين هوية الكيان الجماعي وفي التعبير عن المقومات الثقافية في جميع أنحاء العالم"[1]

إن ما نراه هو اتساع هذا الفضاء ليشمل كل شيء وأهميته لا تقتصر على المستوى البنائي بل ليحقق من خلال خضوعه للعلاقات الإنسانية وخضوع هذه الأخيرة لإحداثياته مستوى حكائيا مدلول مختلف الأبعاد تجليه بنية الرواية. فيكون الفضاء على هذا النحو مثل الهواء يستغرق كل الأشياء والمخلوقات لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي انه قوقعة الإنسان.

إذن البناء الروائي هو الذي يرسم هندسة الفضاء ، وتتضح ملامحه عبر نظمه المختلفة التي تكون الفاعل في وجود اللغة كواسطة تترجم تلك الفواعل ،"إن الالتفات الكبير إلى المكان جعل الباحثين يعيدون النظر في تقييمه وينظرون إليه من زاوية مختلفة تتحقق معها هندسة الفضاء ،لان قيمة المكان الفنية لا تكمن في حدوده الحقيقية البحتة، إنما تتحقق من خلال خلق المكان المفترض أو الفضاء المعروض من زاوية الراوي والشخصيات والحوادث والأفكار وتفاعلها جميعا فيظهر المكان كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعر و الحدوس حيث تنشا بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر"[2]

واتخذ الاهتمام بالفضاء جعل لهذا المكون جاري مختلفة وطرقا متباينة أدت إلى تعاظم البحث فيه لما يستدعيه من حضور في النظم جميعها فتراه في الحدث والزمن والوصف والسرد ....هذا الاتساق تجمع ليشكل لنا الفضاء .

" ولقد مكنت فاعلية الفضاء من الوقوف عند انفتاحه وانغلاقه وحركيته وانغلاقه وانفتاحه خلال التقلبات الاجتماعية والنفسية والأخلاقية بل وحتى الدينية والإيديولوجية فأصبح بذلك –الفضاء –هو عالم الروائي وأحسن شرطا لازما يبنى عليه الروائي عالمه . "3

[1] إشكالية الفضاء ومعالم تشكليه، ص19

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص31

الفضاء لغة:

ورد في لسان العرب(مادة فضا): فضا يفضو فضوا فاض وقد فضا المكان وأفضى إذا اتسع وأفضى فلان آتى فلان إي وصل إليه واصله انه صار في فرجته وفضائه وحيزه الفضاء الساحة وما استوى من الأرض وتسع وجمعه أفضية والفضاء والمكان الواسع من الأرض ونقول مكان مفض إي واسع ونقول المكان ألمفضي المتسع[1].

وفي تاج العروس ينصرف المعنى إلى الاتساع أيضا فالفضاء الساحة وما اتسع من الأرض حيث يستشهد في ذلك بقول الراغب المكان الواسع وقول شمير هو ما استوى من الأرض واتسع و قول ابو علي القالي الفضاء السعة و منه المفضاة و المفضى المتسع.[2]

ولم تختلف المعاجم الحديثة عما ذهبت إليه المعاجم القديمة التي وصفته بالمعاني نفسها من الاتساع و الكبر وقد وصفته القواميس الأجنبية بان مفهوم الفضاء غير محدد يحتوي كل المواضيع . وهناك من القواميس الأجنبية من وصفته بأنه يعني الفساحة و الاتساع و الكبر و المباعدة.

وهذا ما ذهبت له القواميس الفرنسية : أن الفضاء (espace)مفهوم غير محدد يحتوي بصفة عامة على كل المواضيع كالوقت و الفضاء"3

1.2 الفضاء اصطلاحاً:

يعرف الفضاء بأنه الرحب الذي يحددنا ونحدده ويحيط بنا من كل جانب من فوقنا ومن تحتنا وعن إيماننا وشمائلنا لا نهائي يؤدي دورا ذا أهمية في عملية الفهم والتفسير باعتباره مكونا من مكونات الخطاب الأدبي.

"ويمثل الفضاء عنصرا مهما في ترتيب العلاقات الاجتماعية والثقافية وتنظيم أفعال الكائنات ووعي سلوك الأفراد والجماعات والتي تنبه إلى نوع من اختراقات الفضاء لنا لأجسادنا ولأفكارنا ولوجداننا ولمعارفنا "ولقد شكل الفضاء على الدوام محايثا للعالم تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال معيارا لقياس الوعي والعلائق والترتيبات الوجدية والاجتماعية والثقافية ومن ثمة تلك التقاطبات الفضائيات التي انتبهت إليها الدراسات الانتربولوجية في وعي سلوك الأفراد والجماعات"[3]

والرواية من حيث هي فضاء لفظي قائمة على المحاكاة فان كل ما يجري فيها من أحداث يتم على نحو فضائي متزن آنيا."[4]

إذ لم تختلف المعاجم اللغوية عن التعريفات الاصطلاحية ، فقد صبا في منحى واحد يدل على الكبر و الاتساع.

---

[1] أبو الفضل الدين محمد بن مكرمين منظور الإفريقي المصري, لسان العرب ، المجلد 15, ط4, 2005, دار صادر للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, ص157-158 .

[2] محمد الحسيني الزبيدي، تاج العروس، المجلد 20 ، ص117.

[3] حسن نجمي, شعرية الفضاء السردي. المتخيل والهوية في الرواية العربية ط1, 2000 المركز الثقافي العربي الدار البيضاء(المغرب), بيروت(لبنان) ، ص05.

[4] ينظر : جوزيف ا.كيسنر شعرية الفضاء الروائي, ترجمة :لحسن حمامة ,2003 , افريقيا الشرق ,الدار البيضاء (المغرب) بيروت (لبنان) ، ص10-11.

3.1.الفضاء كمصطلح نقدي :

تناول الفكر النقدي الغربي فكرة الفضاء في اثرين أساسيين الأثر الأول تمثل في الجهد الذي بلوره يوري ايزنزفيغ (**U.Eizenzweig**) من خلال دراسته: الفضاء في النص والايدولوجيا (اقتراحات نظرية), وجوزيف فرانك (**J.Frank**)من خلال دراسته :الشكل الفضائي في الأدب الحديث ," الأول أفاد في تموضع الفضاء المتخيل للنص الأدبي داخل سياق إيديولوجي , مما استلزم ربطه بإطار سيميائي عام ثقافي وحضاري من شانه إن يسم الفضاء المتخيل للنص بعمق دلالي إما الثاني فقد أفاد إن الفضاء الروائي يمكنه إن يشكل المادة الجوهرية للكتابة ودالك بتجاوز العائق النظري الغربي الذي يجعل النص الأدبي زمنيا بالضرورة إي لا يمكن تلقي علاماتها إلا متسلسلة ومتتابعة زمنيا من منطلق إن العلامات التصويرية قائمة على منطق التجاوز والتزامن"[1].

غير أن الناقد عبد المالك مرتاض يفضل مصطلح الحيز على مصطلح الفضاء بقوله "إن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس إلى الحيز على ,أن الفضاء من الضرورة إن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل ...على حين إن المكان نريد إن نفقه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده"[2].

إما المظهر الخلفي أو الإيحائي:فيعني به مرتاض المظهر غير المباشر مثل قولنا :سافر ,خرج ,أبحر فهذه الأفعال تحيل على عوالم لا حدود لها وهي احياز في معانيها وهو يقصد بذلك المشهد الذي نراه في الوصف نحو المدرسة والبيت والطريق والمسجد كخلفية للشخصية على مسرح الإحداث ومن ينتقل من مكان إلى أخر فهو عنده ينتقل من حيز إلى حيز أخر حيث قال :"ثم الذي يخرج لا يخلو من إن يكون خروجه من حيز ما إلى آخر"[3]

اخذ الفضاء كمصطلح نقدي إبعاد جديدة في النقد المعاصر, بحكم إننا نصادف في دراستنا التحليلية عبارات عديدة نذكر منها :" الفضاء النصي ,الفضاء المكاني , الفضاء الزمني والفضاء الروائي فهو يمثل الأرض التي نشأت عليها الشخصيات والبيت أو المأوى الذي ولدت وتربت فيه والشارع الذي الفته وما رست فيه أحلام اليقظة وشكلت فيه خيالها فأثرت وتأثرت به, أما المكان فهو مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم"[4]وهو يرتبط بالإدراك الحسي ,وأسلوب تقديمه هو الوصف لهذه المساحة الهندسية من خلال إبعادها الخارجية .

---

[1] ينظر:حسن نجمي, شعرية الفضاء السردي.المتخيل والهوية في الرواية العربية ، ص07.

[2] عبد المالك مرتاض , في نظرية الرواية .2005, دار الغرب للنشر والتوزيع , وهران , الجزائر ، ص141.

[3] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ,ص145.

[4] اعتدال عثمان, إضاءة ، النص, ط1, 1988 دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، ص05

2 – أنواع الفضاء:

1.2– الفضاء النصي:

يعتبر الفضاء الروائي " المادة الجوهرية للكتابة الروائية وهو ليس مجرد تقنية أو تنمية للفعل الروائي"[1], أما الفضاء النص فهو الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحر طباعية على مساحة الورقة بما في ذلك تصميم الغلاف ووضع المقدمة وتنظيم الفصول وتشكيل العناوين بل تصل إلى تغيرات حروف الطباعة وهي بذلك مظاهر التشكيل الخارجي للنص ولها دلالة جمالية وقييمة, ولذلك فهو يشكل الموضوع كموضوع للفكر الذي يختلقه الروائي بجميع أجزائه وبجملة طابعا مطابقا لطبيعة الفنون الجميلة ومن هنا يمكن القول إن "الفضاء النصي هو فضاء الكتابة الطباعية الذي تتحرك فيه عين القارئ لما يعنيه على اكتشاف دلالات جمالية أو قيمة للفضاءات التى وقعت فيها الأحداث التى احتوتها الرواية"[2]

الفضاء كمعادل للمكان أو الفضاء الجغرافي:

يتعمد الروائيون تقديم الإشارة الجغرافية للتحريك خيال القارئ أو لتحقيق استكشاف منهجية للمكان , فالفضاء الجغرافي ناتج عن الحكي هو المكان الذي تدور فيه الأحداث أو المساحة التى يتحرك فيها الأبطال والشخصيات فهو إذن الحيز المكاني في الرواية ويمكن للقارئ من خلاله أن يصل إلى المغزى الفكري والإيديولوجي والرمزي للنص الروائي.إذن فالفضاء يحتوي المساحة المكانية و كل ما تحتويه من دلالات جمالية للاماكن التي وقعت فيه الأحداث، وهو بذلك يكتسب إبعاد نفسية و اجتماعية و عقائدي ...كما يعتبر في بعض النصوص الأدبية مفتاحا لا يمكن لقارئ الرواية أن يلج عالمها إلا به.

3.2– الفضاء الدلالي:

[1] اشكالية الفضاء ومعالم تشكله ، مرجع سابق ،ص12.

[2] دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيمائية، عبد الله توام إشراف هواري بلقاسم ، رسالة دكتوراه،كلية الآداب و الفنون ، جامعة احمد بن بلة وهران، سنة 2015_2016 ، ص18.

يمتلك الفضاء كمصطلح نوعا من الاتساع، ولا يرتبط فقط بالخيط الهندسي المحدود والأبعاد وإنما يتعلق بالأفق الرحب فعبارة الفضاء الدلالي تدل على أن الأمكنة أو الأشياء الموظفة في نص من النصوص الأدبية تتجاوز دائما واقعيتها بمجرد تحولها على جسد لغوي أي أنها تعمل عللا وضع القارئ في مكان خارج المخيلة[1] والدلالة ليست معطى جاهز يوجد خارج العلامة وخارج قدرتها في التعريف والتمثيل فالمعنى لا يوجد في الشيء وليس محايثا له إنما يتسرب إليه عبر أدوات التمثيل .

والفضاء الدلالي هو رصد المعالم الواردة في الخطاب الروائي من معناها الشكلي الظاهري ومحاولة تثمينها بأدوات لغوية وبلاغة تميل القارئ للتأويل والتفسير ويعتبر جيرار جنيت أن هذا الفضاء ليس شيئا آخر سوى ما ندعوه عادة"**figure** " فيقول : "إن الصورة هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له بل لأنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها بالمعنى"[2]

فنقول إن " الفضاء الدلالي يؤدي فيه القارئ أو الناقد الدور المنوط في لإنتاج الدلالة في الرواية، وتشارك فيه مختلف العناصر المكونة للبناء الروائي من أمكنة وأزمنة وأحداث و شخصيات من خلال البناء اللغوي ومستويات اللغة السردية من ترابط وانسجام بين بنيتها :الصوتية ،المعجمية والتركيبية وتتعلق الأولى بالجانب الصوتي للنص وتتعلق الثانية بالجانب اللفظي بينما تتعلق الثالثة بجانب الجمل والتراكيب"[3].

إلا إن هذه الأخيرة ليست قوالب جاهزة وتكمن وظيفتها في كسر هذه القوالب وتبنى من خلالها أشكال تعبيرية مختلفة ومن تم تحرير المفردات من قاموسها لتصل بها إلى المعنى البلاغي وذلك تبعا لتعدد مستويات القراءة تحت مصطلح المعنى الخفي وهو ما يعادل الفضاء الدلالي وقد تعرض له عبد الملك مرتاض فعرفه : "بأنه المظهر غير المباشر الذي نتعرف عليه من خلال الأدوات اللغوية غير ذات الدلالة التقليدية على المكان مثل : الجبل ، الطريق ،

[1] فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان – قراءة في شعرية المكان ط1،2008 مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت لبنان ، ص25

[2] حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي ،ص61

[3] ينظر: فتيحة كحلوش ،بلاغة المكان – قراءة في شعرية المكان ، مرجع سابق ،ص25.

البيت ،.... بالتعبير عنها تعبيرا غير مباشر مثل :قول القائل في أي كتابة روائية : سافر ،خرج ،أبحر ....فمثل هذه الأفعال أو الجمل تحيل على عوامل لا حدود لها في معانيها وهي كلها احياز في معانيها"[1] .

فالفضاء الدلالي موجود على امتداد الخط السردي انه لا يتغيب مطلقا حتى ولو كانت الرواية بل أمكنة، الفضاء حاضر في اللغة في التركيب في حركية الشخصيات وفي الإيقاع الجمالي لبنية النص الأدبي .

4.2– الفضاء كمنظور أو كرؤية:

تمثل **كريستيفا** الرواية بالواجهة المسرحية , " فالعالم الروائي بما فيه من أبطال وأشياء يبدو مشدودا إلى محركات خفيفة يديرها الكاتب وفق خط مرسوم وهذا يشبه ما يسمى برواية رؤية الراوي أو المنظور الروائي"[2].فهي بذلك ترى أن رؤية الكاتب هي التي تهيمن على فضاء الرواية بما فيه من أماكن وشخوص وما ينتج بين الشخوص من علاقات وبين هذه الشخوص والمكان من علاقات أيضا. بمعنى أن الفضاء ومحتوياته لا يحتفظون بمدلولاتها التي كانت لها قبل أن تصبح مكونا سرديا إنما تتلون برؤية الكاتب

5.2–الفضاء الروائي:

الفضاء الروائي لا يوجد إلا من خلال اللغة ،فهو فضاء لفظي يختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح. أي لا يوجد إلا من خلال ربطه بغيره من عناصر الخطاب الروائي ربطا يجعل منه نسيجا متشابكا, محكم التلاحم والتماسك ,شديد الاتساق والترابط, مما يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية والزمنية للحكاية, و بالحدث الروائي, وبالشخصيات التخيلية التي تستطيع اللغة التعبير عنها وليس هناك أي مكان محدد مسبقا, وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال, وهذا الارتباط هو الذي يعطي الرواية تماسكها"[3].

فالفضاء الروائي مجموعة من العلاقات بين الأماكن والزمن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث ويرى الكثير من الدارسين رغم تسليمهم بوجود الفضاء نصي كالبياضات والجداول والهوامش فان التركيز يجب ان يكون على دراسة الفضاء الروائي وهو المظهر التخيلي الحكائي ويقصدون المكان والزمان الذي تجري فيهما أحداث القصة أو الرواية وحجتهم في ذالك بان دراسة الفضاء النصي والطباعي

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية .بحث في تقنيات السرد ، مرجع سابق ، ص144.

[2] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، مرجع سابق ، ص73.

[3] ينظر: نفس المرجع، ص71.

يجعلان من الدارس واضع جداول وخرائط طبوغرافية فالرواية قائمة أساسا على المحاكاة وهدا لابد له من حدث وهذا الأخير يتطلب بالضرورة زمانا ومكانا"[1] .

فالفضاء الروائي يتكون من الزمن الروائي والمكان الروائي وهما مرتبطان في العمل الروائي والح الفيلسوف الفرنسي الظاهراتي **غاستون باشلار** (**1884-1964**) على مسالة تلازم الزمان والمكان في العمل الروائي من خلال كتابيه جماليات المكان وجدلية الزمان عندكما يرصد التوافق البطيء بين الأشياء والأزمان بين فعل المكان في الزمان ورد فعل الزمان على المكان أي أن المكان عبر تحولاته يدل على وتيرة الزمان"[2] .

فالفضاء الروائي ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة لأنه يعاش على مستويات عديدة منها :" الراوي بوصفه كائنا مشخصا وتخيليا أساسا من خلال اللغة التي يستلمها الروائي لتحديد المكان والزمان الشخصيات الأخرى التي تحتويا إحداث الرواية ، والقارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظره"[3].

3- المطلب الثاني: دلالة الفضاء الروائي في ضوء المناهج النقدية الحديثة.

تماشيا مع الظروف الراهنة اقتضى علينا الحال التعايش مع ما تنتجه إبداعية العرب في مجالات شتى علمية اقتصادية، سياسية، ثقافية وحتى الأدبية مما جعلنا ننزاح عن المألوف في العالم العربي وبالتالي الخضوع لدينامية الاستهلاك، ولا ضير في أن تقترض الأمم من بعضها البعض ما تحتاج إليه ما دام لا يتضارب مع عصارة الحياة فيها، وانطلاقا من اقتناع مفاده تكامل العلوم الإنسانية لدرجة تنطمس فيها الحدود خاصة في مجال الإبداع الأدبي. وترسخت فكرة ارتباط الأدب العربي بالأدب الغربي كمسلك اتخذته الجهود التجديدية في العالم العربي للولوج في عالم المعرفة الأدبية الحداثية والنقد الأدبي أكثر المجالات الفكرية تحسسا للتغيرات الحاصلة منها الاسلوبية، البنيوية والسيميائية خاصة هذه الأخيرة احتلت مكان الصدارة ،بل وأصبحت من أغنى الميادين دخل العلوم الإنسانية كونها استمدت أدواتها التحليلية من اللسانيات وأعقبت البنيوية فتوسلت بالياتها الإجرائية مما استرعى اهتمامنا أن نجوس في هذا المنهج الحداثي، ونمرق خلال منعطفاته لتوضيح بعض آلياته وكيفية التعامل مع النصوص الأدبية خاصة السردية منها "[4].

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ،ص28-29.

[2] ابراهيم صالح، الفضاء ولغة السرد في رواية تعبد الرحمان منيف ،ط 1،سنة2003 ،ص8-9

[3] ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ،ص32

[4] دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيمائية، عبد الله توام إشراف هواري بلقاسم ، رسالة دكتوراه ،كلية الآداب و الفنون، جامعة احمد بن بلة وهران، سنة 2015_2016 ، ص43.

4- المبحث الثالث : علاقة المكان (الفضاء) بالإنسان .

يعتبر الفضاء والمكان شرطا وجود الإنسان وهذا الوجود لا يتحقق إلا في وجود فضاء معين ففي الفضاء يمارس الإنسان حضوره وغيابه فان وجد الإنسان فانه يوجد في فضاء معين وعندما يغيب فقد انتقل من فضاء إلى فضاء أخر ، فالفضاء هو العنصر الثابت المحسوس فلا يتحقق وجود الإنسان إلا من خلال علاقته بالمكان أو الفضاء الذي يكون فيه.

ولقد اهتمت معظم الدراسات النقدية المختصة كالرواية بهذا العنصر المتمثل في الفضاء وعلاقته بالإنسان والتي أقرت بوجود روابط بين الإنسان والفضاء كما للمكان ارتباطا وثيقا بالشخصيات في الرواية إذ انه لا يمكن أن يكون فضاء روائي بعيدا عن الإنسان (الأشخاص) فهو يتشكل باختراق الأبطال له فقام علاقة وطيدة بينه وبين الأشخاص من الذين يعيشون فيه مما يعكس بناء وراثيا منسجما .

وبالرغم من أن الدراسات الغربية لم تلق اهتماما بمكون الفضاء خاصة في الأعمال السردية كالراوي مثلا، إلا انه كانت هناك اجتهادات نظرية متباينة عبارة عن وجهات نظر حول هذا المصطلح الذي لم يشغل بل الدارسين كانشغالاتهم ببقية المكونات السردية الأخرى .

ولقد ارتبط الإنسان ارتباطا وثيقا بفضائه منذ القدم بارتباطه بالكرة الأرضية بحكم جاذبيتها من جهة ومن جهة أخرى باعتبارها الممد الوحيد للاستمرار حياة الإنسان بما تقدمه من عناصر الحياة وقد اخترق الفضاء حياة الإنسان وأصبح يرافقه أينما حل ويلقي بظلاله عليه فهو يعيش فيه ومعه ولا شيء منفصل عنه ومتحرر من رقبته بل انه لا وجود لكائن حي دون فضاء يحويه ولا حياة دون فضاء "[1].

ويقول في هذا جورج ماتور "إن الإنسان غير منفصل عن فضائه بل أن هذا الفضاء ذاته "[2]

1 دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السميائية ، عبد الله توام ، مرجع سابق ، ص 23

2 جوج ماتور، ثنائية الإنسان و الفضاء ،سنة 1962 ، باريس ،..ص16.

- **المبحث الرابع: دور الفضاء في الخطاب السردي:**

تشكل الدراسة السردية ميدانا مهما في كشف جماليات القص بوصف بنيات دلالية تحمل قيم تعبيرية وفنية ،وتسعى هذه الدراسات إلى النتائج الإبداعي وتقديم القصد الروائي وبهذا ترسم للكتابة الروائية مساحة واسعة لتضمين الإيديولوجية على لسان الشخوص من خلال سير تفاعل الأحداث في زمان ومكان مخصصين .

ويعد السرد من ابرز الفنون التي تداولت على الشعوب لما له من تأثيرات تشمل جميع نواحي الحياة ولما كان له تأثير في صياغة العقل البشري وتكوين ثقافة المجتمعات وتنوير إبداعاتها الفنية وتطويرها ،ومن الملاحظ أن فن السرد منفتح على جميع الفنون الأدبية عبر التاريخ من خرافة وملحمة وأسطورة ...وصولا إلى النوع الأدبي الجديد الذي نعرفه اليوم بالرواية والقصة والقصة القصيرة، وهذا نظرا لما يتميز به من قيمة جمالية وخاصية نوعية .

ويعتبر الخطاب السردي الشكل الأمثل لتجسيد عملية السرد وهنا تجدر الإشارة إلى التفريق بين الخطاب الحقيقي والخطاب السردي في اهتمام المناهج النقدية فتناولها التحليل البنيوي على اعتبار أن الخطاب السردي رسالة لغوية بين طرفين .

السارد ⟸ المسرود اليه

المرسل ⟸ المرسل اليه

فالسرد عملية فنية مظهرها الوحيد هو الخطاب السردي القائم على اللغة ،وقد قسم **تودورف** الخطاب السردي إلى ثلاثة مستويات وهي:

1- **المستوى الدلالي**: يبحث العلاقات اللسانية والدلالية التي تربط وحدات النص.

2- **المستوى اللفظي**: يعني بدراسة الكلمات باعتبار أنها دليل.

3- **المستوى التركيبي**: يتشكل من تالف مجموع أبنية الخطاب السردي".[1]

[1]- مجلة دراسات اللغة العربية وآدابها فصلية محكمة ،العدد الرابع عشر صيف 2014م ، البنية السردية والخطاب في الرواية ،الدكتور سحر شيب، ص118

لقد خضعت الرواية في مسار تطور إلى عدة تغيرات رافقتها نظريات مختلفة تؤطر ما يحدث على المجتمع من تحولات وما يقابله من انعكاس على الخطاب السردي الروائي الذي حاول أن يجمع كل الأجناس الأدبية تحت راية واحدة ،ومن خلال هذا المفهوم يتضح اتساع الرقعة التي يتجلى فيها وعليها الرواية ومن خلالها الفضاء الذي يغطي الرواية بأحداثها ، فهو ليس مجرد إطار فارغ للأحداث بل هو برمجة مسبقة للأحداث وانطلاقا من هذا فان الفضاء دورين هما :

الفضاء هو الوسط الذي يحمل لبقية مكونات الرواية والمشارك في برمجة الأحداث وتحديد طبيعتها لذلك فهو يأخذ صفة البنية الداخلية التي بدورها تساهم في تشكيل بنية أوسع منها وهي الرواية .

– الفضاء علامة تحيل إلى الجديد وخلق علامات مع كل قراءة وذالك عن طريق إحالة المتلقي إلى التأويل وخلق علامات جديدة انطلاقا منه

ويتضح مما سبق "أن الفضاء ما هو إلا إعادة تشكيل لما هو موجود أو لما هو ممكن الوجود من اجل إنتاج شيء جديد يتراءى من كل وجه على نحو مختلف تتحكم فيه زاوية الرؤية ،والقارئ ما هو إلا وسيلة من وسائل استقراء الفضاء ، فكلما تغيرت هذه الرؤية من راوٍ وشخصيات ..... اتسمت صورة جديدة تختلف على الصور السابقة وقد تتشابه معها في بعض الجزئيات ،وللفضاء قدرة كبيرة على التأثير في تصوير الأشخاص وحُبك الحوادث مثلما للشخصيات اثر في صياغة المبنى الحكائي للرواية .

والتفاعل بين الفضاء والأشخاص شيء دائم ومستمر في الرواية مثلما هو مستمر في الحياة ولذا فتكوين الفضاء في بعض الأحيان يؤثر تأثيرا كبيرا في تكوين الشخوص بل إن وصف الفضاء للواقع الذي يجعلنا نفهم الأسرار العميقة للشخصية الروائية"[1].

لذلك فان "الفضاء يحيل إلى إبراز نفسية والآم الشخصيات فنجد أن الفضاء في الرواية في علاقة وطيدة مع الشخصيات التي تقوم بالتجسيد"2.

1 دلالات الفضاء والمكان في ظل معالم السيمائية، عبد الله توام ، ص27

2 المرجع السابق ، ص 127 - 125

الفصل الثاني : الجمالية في رسم معالم الفضاء الصحراوي.

المبحث الأول: تعريف الجمالية لغة واصطلاحا (العرب و الغرب)

المبحث الثاني: دور الوصف في رسم معالم الجمالية.

المبحث الثالث: جدل الفضاء و الزمان و الشخصيات في الأعمال الروائية .

المبحث الرابع: دور اللغة في رسم معالم الجمالية

1- المبحث الأول : تعريف الجمالية (لغة اصطلاحا) (عند العرب والغرب)

1-1 تعريف الجمالية لغة:

الجمال مصدر الجميل والفعل جمل، والجمال لغة ضد القبح وهو الحسن والزينة، أما ما جاء في الصحاح :جملة زينة الحسن :ضد القبح ونقيضه

حسنت الشيء: زينته والحسنة ضد السيئة والإحسان ضده .

وقد جاء في القاموس المحيط وكذلك في الصحاح:الحسن:الجمال

تعريف الغزالي "حسن كل شئ في جماله الذي يليق به"[1]

وقد استعملت في اللغة العربية الألفاظ الجمالية حيث جاء في كتاب فقه اللغة :فقال "

الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة

الجمال في الأنف والحلاوة في العينين

الملاحة في الفم الظرف في اللسان

والرشاقة في القدم واللياقة في الشمائل" [2]

وقد ورد لفظ الجمال في القران ثماني مرات ،واحدة منتها بصيغة المصدر ،والباقي كانت صفة، وكلها في مجالب الأخلاق باستثناء قوله تعالى "ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون " سورة النحل الآية 6

تعريف ولتر ستيس : "الجمال هو امتزاج مضمون عقلي مؤلف من تصورات تجريبية غير إدراكية مع جمال إدراكي بطريقة تجعل بهذا المضمون العقلي وهذا المجال الإدراكي لا يمكن أن يتميز إحداهما عن الأخر"[3]

---

[1] ابو حامد الغزالي،

[2] كمال الحسن في الشعر

[3] ولتر ستيس

وخلاصة هذا التعريف اللغوي باختصار مبسط تسوقنا إلى أن الجمالية يصعب تعريفها إلا إذا وقفنا على العقل وسقناها إلى مفهوم الجميل لاكتسابه صفة البهاء والكمال والتمام والكمال لا يتصف إلا لله عز وجل ،وإلا كمال من الكمال يوجد لإزالة النقصان، على حين إن الإتمام من التمام لإزالة النقصان في الأصل ومنه فان الحكم الجمالي أو الجمالية يتعدى عتبات الحواس الخمس باعتبارها المنافذ الخارجية للمتذوق الناقد والمرهف الحس أو المتلقي بعفوية .

فالجمالية تلمس بحسب المقدرة العقلية والحسية ولذالك قال تعالى "يرفع الله الذين آمنو منكم والذين اوتو العلم درجات " سورة المجادلة الآية (11)

فالجمال يدرك بالتجربة ونصل إليه و إلى حقيقته بالتجربة والثقافة والعقل لقوله تعالى "لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها "سورة الحج الآية (46)

ويقال جمال الرجل اللسان ويقال صواب القول بالحق، والكمال حسن الفعال بالصدق.

تعريف الجمالية اصطلاحا:

"نظرة أرسطو للجمال :تتضح معالم الجمال عند أرسطو منت خلال التناسب والتناظر والتوافق والتوازن والدقة والوضوح ،فالجمال عنده يتجسد في الظواهر والأشياء فقط أي الشكل الخارجي هو الذي يرسم معالم الجمال في أي شئ ويعطينا بنية نصية قائمة بذاتها" [1]

الرواية التي بين أيدينا "تلك المحبة "يتجلى الجمال في العنوان وهذا بمزيج من الرسومات الفنية (الذوق الحسن ،الثقافة ...الخ) تعطي تفسيرا ديناميكيا للجمالية المراد الوصول إليها من خلال قرأت العنوان فشكل العنوان يوحي إلى وجود رومانسية في النص الروائي غالبا عن الأبعاد المجسدة أو المرسومة بين سطور المشاهد ،فرسم المعالم يأتي من خلال الشكل المنطقي أو المطابق للنص .

وغير بعيد جاء أفلاطون حيث جعل من الإنسان مقياسا اعلي وانسب وأليق وهذا ما ينطبق على البشر في حد تعبيره .

[1] ارسطو

2-1 تعريف الجمالية اصطلاحا :الجمال هو حسن الشئ ونضرته وكماله على وجه يليق به ،ومعنى ذالك إن لكل شئ جماله وحسنه

وقد قسمه ابن القيم رحمه الله إلى قسمين بقوله "اعلم أن الجمال ينقسم إلى قسمين ظاهر وباطن ،فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم ،العقل ،الجود ، العفة ، الشجاعة ....الخ، اما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض وهي زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها "يزيد في الخلق ما يشاء " قالوا هو الصون الحسن والصورة الحسنة "

فعلم الجمال أو الجمالية هي دقة تفسير وتعبير عن الشئ المراد التمعن فيه ،فقد ترى الجمال في الشوك رغم انه يؤلم والعكس صحيح .

وفي العصر الحديث منهم من ارجع الجمالية إلى الشكل وهناك من ربطهما في المضمون وهدا بحسب النص إلى أن جاء عبد القادر الجرجاني الذي عبر عن الجمالية في الشكل في نظريته المعروفة بالنظم كما في قوله "اعلم إن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل قوانينه وأصوله ،وتعرف عن منهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها "

الجمال عند ابن سيدة : هو الحسن ،يكون في الفعل والخلق معا وقد جمل الرجل جمالا فهو جميل وجُمال (فإذا قلنا جمَّله وتجمَّل ،زينة وتزيَّن)فقد دخل في التجمل وهو التزيين أي انه ليس جميلا بطبعه أو انه ناقص الجمال فتكلف الجمال ليصبح جميلا ،ومن هنا نصل إلى أن الجمال ينحصر في الحسن والإيجاب

اختلفت الآراء وتعددت المفاهيم حول تعددت المفاهيم حول تمديد مصطلح موحد للجمالية .

وما اصطلح عليه القدامى والمحدثين نستطيع صياغته وتبين مفهوم الجمالية من خلال اللفظ اللغوي للجمالية فالجمال يقع على الصور والشكل والمعاني ،فهناك من يحس به ويدركه وهناك من يبقى غامض لديه لا يحسه من الوهلة الأولى فلذالك تعددت المفاهيم حول تحديد المصطلح .

وكما قلنا جمال الرجل جمالا أي فهو جميل، ويطلق الجميل على الزينة

ويمكن تحديد التعريف الاصطلاحي من خلال آراء القدامى والمحدثين حول طبيعة ومفهوم الجمالية ،فلذالك سنحاول تسليط الضوء على بعض العارفين القدامى والمحدثين ونجد في الأخير أننا قد أهملنا لقلة معارفنا بعض

التعاريف والآراء المهمة في مدلول الجمالية وتحديد مفهومها فالجمال لا يكون الا لله عز وجل ومن هنا نقتصر على بعض التعاريف منها :

ا– الجمالية عند العرب :

لقد عرف العديد من القدامى والمفكرين الجمالية بالرغم من مجهوداتهم الواسعة في تحديد المصطلح إلا أن التعاريف والمفاهيم تبقى قائمة في تحديد الجمالية عند العرب وسنحاول بعون الله الاختصار على بعض الآراء لنحدد الجمالية من خلال آراء بعض الأدباء والنقاد العرب.

عبد القاهر الجرجاني :(ت71هـ) حيث انتصر إلى مفهوم الجمال في الشكل والمعنى في نظريته المعروفة بالنظم كما في قوله "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه على النحو ،وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف منهجه التي انتهجه فلا تزيغ عنها "[1]

ثم قال "وإذا قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي شانها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليست لها غاية تقف عندها ،فاعلم أن الفروق والوجوه والفروق التي من شانها أن تكون فيه ،فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ،فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها .ونهاية لا تجد لها ازدياد بعدها ،ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي الإطلاق ولكن تعرض بسبب من المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام .ثم يحسب موقع بعضها من البعض ،واستعمال بعضها مع بعض "

* قال ابن طبا طبا "وللنفس كلمات روحانية من جنس ذاتها أما الجليل المطلق فهو راجع إلى الكمال في الذات والصفات " أي انه يرى أن الجمال هو الكمال

*وذهب الفرابي "الجمال عنده وجه من إدراك الإنسان للوجود الأفضل في الموجود ،باعتباره الإلهي الصرف تارة باعتباره الإنساني تارة أخرى حيث يقول "والجمال والبهاء والزينة في كل موجود هو أن يوجد وجوده أفضل ،ويحصل له كماله الأخير، وإذا كان الأول وجوده أفضل الوجود ،فجماله فائت الجمال كل ذي الجمال وكذالك زينته وبهاءه ثم هذه كلها له في جوهره وذاته وذالك في نفسه وبما يعقله في ذاته، أما نحن فان جمالنا وزينتنا لنا

[1] عبدالقاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز

بأعراضنا، لا بذاتنا وللأشياء الخارجية عنا .لا في جوهرنا والجمال والكمال ليس هما فيه سوى ذات واحدة وكذالك سائرها"

فالفارابي نجده قد تناول مكونات الجمال الإنساني باعتبارها مغايره للجمال الإلهي ...وفق الأصل الذي يذهب إليه مفهوم الجمال .

وهو إن الجمال في كل موجود بالوجود الأفضل والكمال الأخير الذي يتمثل في الله عز وجل فهو الكامل لأنه اكتسب بعضها مع بعض ،واستعمال بعض بعضها مع بعض "

- قال ابن طبا طبا "وللنفس كامات روحانية من جنس ذاتها أما الجليل المطلق فهو راجع إلى الكمال في الذات والصفات " أي انه يرى الجمال هو الكمال
- وذهب الفارابي الجمال عنده وجه إدراك الإنسان للوجود الأفضل في الوجود ،باعتباره الإلهي الصرف تارة وباعتباره الإنساني تارة أخرى حيث يقول "والجمال والبهاء والزينة في كل موجود هو أن يوحد وجوده الأفضل، ويحصل له كماله الأخير وإذا كان الأول وجوده أفضل الوجود فجماله فائق الجمال،كل ذي الجمال ،وكذالك زينته وبهاءه، ثم هذه كلها له في جوهره وذاته ،وذالك في نفسه ،وبما يعقله في ذاته، أما نحن فان جمالنا وزينتنا بإعراضنا، لا بذاتنا، وللأشياء الخارجية عنا لا في جوهرنا ،والجمال والكمال ليس هما فيه سوى ذات واحدة وكذلك سائرها " فالفارابي نجده قد تناول مكونات الجمال الإنساني باعتبارها مغايرة للجمال الإلهي ...وفق الأصل الذي يذهب إليه مفهوم الجمال .
- وهو أن الجمال في كل موجود بالوجود الأفضل والكمال الأخير الذي يتمثل في الله عز وجل فهو الكامل لأنه اكتسب بعضها مع بعض ،واستعمال بعضها مع بعض
- وبالتالي نستخلص من هذا التعريف ان الجمال يتعدى الشكل ليصل المضمون
- الجمال عند ابن سيدة هو الحسن ،يكون في الفعل والخلق معا وقد جمل الرجل جمالا فهو جميل وجمال فإذا قلنا (جمله وتجمل :زينة وتزين)فقد دخل التجمل وهو التزين أي انه ليس جميلا بطبعه أو انه ناقص الجمال ،فتكلف الجمال ليصبح جميلا
- فالجمال عند العرب يقع في الصور والمعاني معا .فمنهم من يدركه إدراك نسبي ومنهم من يدركه إدراكا عميقا

الجمال عند الغرب :

تعريف الجمالية عند إتيان سوريو :يرى من خلال كتابه الجمالية عبر العصور بان الجمال لا تطرق له الأبواب ليرى من الداخل بل إن كل الكائنات بحاجة إليه وكل الألوان الأدبية والأشكال الفنية وقد اعتبره شئ طبيعي مستقر .كما انه يرى بان الجمال لا يكون إلا من خلال الزمان والمكان والحاجة الماسة والضرورية لسير الحياة ،وكذالك من الأشياء الطبيعية تحتاج إليه ولا يمكنها الاستغناء عنه فهو موجود في كل العلاقات والمعاملات بقوله: الحاجة الجمالية هي ارسخ الحاجات التي تميز الكائن لحي البشري ،ومن أكثرها ثباتا وقوة وهذه الحاجة لا يصدر إلى ممارستها في الميدان الخاص والمحدود للفنون الجميلة فقط وتلقاها أيضا كقوة محركة وموجهة ومتمة ومشرفة ومستشرقة معا في مختلف ميادين النشاط الإنساني، كما نلقاها في الإطار العلمي البحث بمقدار ما نجدها في الإطار الروحاني والمعنوي الاسمي"[1].

2- المبحث الثاني: دور الوصف في رسم الدلالات الجمالية.

إذا كان الجمال في كل موجود على حسب رأي الفرا بي فان نسد رأينا إليه باعتبار أن الوصف كيفما كانت طبيعته فهو يرسم الدلالات الجمالية ويعطي معنى حقيقي للصورة حتى تصل إلى المتلقي مباشرة فقد بتسال القارئ باعتبار أن هذا الاتجاه ينطبق على الإنسان العاقل البالغ المكتمل الشخصية .وكيف ينطبق هذا الوصف على الأصم والضرير وو....الخ غير ذلك من الشخصيات الأخرى الغي عادية ،فأجيبه أن هذه الشخصيات لها إحساس داخلي فكل من فقد حاسة من الحواس تجد التعويض عنها في حاسة أخرى يرى الظلام بل أن الظلام عنده نور داخلي لا يفارقه داخليا ولا خارجيا أي في الشكل والمضمون وهكذا بالنسبة للظواهر الأخرى فأنت ترى الظلام وهو يعيش في نور تام .

فوصف الشئ يتطلب تحديده قبل الدلالة والوصول إليه، فالمعالم الجمالية في رواية تلك المحبة للحبيب السايح توحي إلى أن الواصف للجمالية عاش التجربة وامتزج بصحرائها وإلا قرانا العنوان واخترقنا النص وتركنا المتلقي يصف ما يجري في الصحراء دون ترواو تركيز ،وقد عبر لحبيب السائح عن هذا الامتزاج الفكري والابتكاري بحضارة الغير من خلال رسم دلالات الجمالية وقد ركزنا على الوصف ، باعتبار ان الوصف يختلف من خلال القراءة للشكل والمضمون

[1] اتيان سور يوتر ميشال عاصي منشورات عويدات لبنان ،ط2 ، سنة 1982 ، ص 315

3- المبحث الثالث: جدل الفضاء والزمان والشخصيات في العمل الروائي

تتجلى مصطلحات الجمال بشكل أوضح في الفصل الثاني "كوني لي اندلساً بين توات وقدس "[1]،والفصل السابع بليلو الخلاسي ماريا الرومية ،السخرة والمحبة.

المشهد أو المقدمة أو العنوان في الفصل الأول يوحي أن هناك مزج بين الأندلس وما للأندلس .فهي مدينة جميلة وقلعة رائعة فهو يريد من عشيقته أن تكون له الأندلس في الشكل والمضمون أي الجمالية التي لا يعرفها إلا المحب للمحبوب والتناظر بين توات والقدس .فهي صفة توحي إلى التقديس والعظمة ،فطابع الرواية يضع القارئ يعيش ملحمة الحضارات القديمة والتيارات الفكرية القديمة والمعاصرة ومدى تضارب وتصادم ،التقاء في المعالم والعادات والتقاليد والرموز والأماكن التي تحدد مصطلحات الجمالية .

ومنه فانه لا يمكن تحديد مصطلح معين للجمالية إلا أن الجمالية الروائية التي نحن بصدد دراستها تجعلنا نصل إلى حقيقة النص كيفما كان شعرا أو نثرا فانه ينبئ على حقيقة فهم النص وتأويل مضمونه كما جاء في كتاب محمد بازي "التأويلية العربية " بقوله "يمكن أن توجد جمليه لتأويلات لا متناهية للنصوص الشعرية ،معتمدة على سيميوطيقا تأويلية قائمة على قصد المؤلف وأخرى على قصد النص وثالثة تؤول تأويلا لا نهائيا نصا اعتبره صاحبه ذا معنى واحد [2].

مما لا شك فيه أن الزمن والشخصيات والمكان والفضاء عناصر رئيسية في بنية الرواية فهي تتشابك مع بعضها البعض لذالك فهي تتأثر مع بعضها البعض ما جعلها مكونا عضويا في الأعمال السردية العضوية .

إن الأحداث في الرواية لا يمكن لها التحرك إلا بالشخصيات والتي تتحرك في زمان ومكان معين وهذا ما يجعلنا نقول إن الزمان يتداخل في الشخصيات والمكان أي انه ابن المكونات التي يقوم عليها العمل الروائي تتداخل فيما بينها.

---

1 الحبيب السائح،رواية تلك المحبة ،ص27

[2] محمد بازي "التاويلية العربية " نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات ،دار العلوم العربية للنشر والتوزيع بيروت ط1 2010

" وإذا كان المكان والزمان الروائيين هما احد المكونين الأساسيين في بناء الرواية فهما يدخلان في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيا السردية" [1].

ويتجلى الزمان في عناصر الرواية كافة وتظهر إشارة واضحة على ملمح الشخصيات طبائعها وسلوكها فالإحداث التي بسردها الروائي والشخصيات التي تجسد هذا الأحداث كلها تتحرك في زمن محدد منطقي وبذالك فان الحديث من الفضاء يستدعي وجوبا لحديث من الشخصية التي تختلف من زمان إلى آخر. والزمان هو الحياة نفسها أو هو الوعي بالحياة ومن ثم أمكن القول أن المكان هو عالم الثوابت بما يندمج الزمان في عالم المتغيرات .

ويتمثل الزمن في العمل الروائي بادراك الشخصيات بالزمان كما يتحقق بالسرد الذي يجسد تلك الأحداث التي يقوم بها الشخصيات كما يتحقق الزمن كذالك بوعي الشخصيات بالإحداث ومدى تطورها داخل العمل الروائي وتتابعها "تلك المتوليات الحكائية قد تبتعد كثيرا أو قليلا من المجرى الخطي السردي فهي تعود إلى الوراء لتسترجع أحداثا تكون قد تحصلت في الماضي او على العكس من ذالك تقفز إلى الأمام لتشرق ما هو آت ومتوقع من الأحداث "[2]

فمرة تكون في سرد تذكاري وتارة أخرى في سرد استشراقي، فان التحديد الدقيق للزمن الطبيعي داخل الرواية يحقق هدفا جماليا والذي يتمثل في تحديد اتجاه القراءة لدى القارئ حتى يفسر الحوادث والرموز والدلالات حسب الاتجاه.

ويمكن للباحث أن يميز بين نوعيين من الزمن في الرواية :

الأول هو الزمن النفسي ويسمى كذالك الزمن الداخلي أو الشخصي او الذاتي "يتحقق هذا الزمن بتلك الشحنات التي يحدثها العمل الإبداعي من خلال مجموعة من التقاطبات الموجبة والسالبة حيث يعتري النفس النفس فيضٌ من المشاعر والأحاسيس نتيجة التأثر بالأثر " فالزمان هنا مرتبط بالشخصية حيث أن الذات أخذت محل الصدارة فقد الزمان معناه ،فلا وجود للشخصية إلا في إطار زمني

أما الثاني فهو الزمن السردي وهناك حركتان من الزمن السردي وهما:

[1].حسن بحراوي :بنية الشكل الروائي مرجع سابق ص26

[2]المرجع السابق نفسه ص29

ا- الاسترجاع :وهو تقنية يعتمدها الكاتب أو الروائي حيث يذكر حوادث وأقوال وأعمال وقعت في الزمن الماضي الروائي.ويتعمد الروائيون عادة هذه التقنية لما لها من غاية فنية وجمالية والمتمثلة في ملء الفراغات التي يحدثها سرد الأحداث في الحاضر الروائي ويستعمل هذا الأسلوب حتى يعود إلى شخصيات ظهرت بإبحار في بداية الرواية غير أن المجال لم يسمح بذكر خلفيتها وحقيقتها فيلجا الروائي إلى أسلوب الاسترجاع لإضافة جوانب هامة من حياة هذه الشخصية وللإشارة فان هذا النوع من الأساليب يكثر فبي الأعمال الروائية التي تعتمد أسلوب الإشرافات والمذكرات .

وتتمثل أهمية هذا الأسلوب في بناء الشخصية الروائية وإضاءة جوانب كثيرة من حياته وإبعادها النفسية والاجتماعية إضافة إلى ذالك أنها تغير بعض الأحداث السابقة في ضوء المعطيات الجديدة

ب- الاستشراف :"وهو عملية تقنية عكس الاسترجاع وهي تقنية تخبر بصراحة وبأسلوب ضمني أفعال وأقوال ستذكر لاحقا ،وبالتالي فان الاستشراف يجعل القارئ دائما يتوقع الأحداث ما يجعله يتكهن بمستقبل الشخصيات غير أن المعلومة التي تقدم في الاستشراف غير مؤكدة ما لم يتم تحقيق الفعل في العمل السردي وهذا ما أكده حسن بحراوي حين قال "المعلومة التي يقدمها لا تتصف باليقينية ،ما لم يتم الحدث بالفعل ،وليس هناك ما يؤكد حصوله وهذا ما جعل الاستشراف حسب "فينزيغ" شكلا من إشكال الانتظار" [1]

كما بعد الفضاء من العناصر الشخصية فلا يمكن أن توجد شخصية بدون فضاء .

فالفضاء مكان وحيز تتحرك فيه الشخصيات ،لذالك فانه لا يقل أهمية عن الزمان فهما الاثنان مهمان في بناء الشخصية وهما متلازمان ومتصلان فل يمكن تناول الفضاء بمعزل عن الزمان والعكس .والمكان بالنسبة للشخصية يعد الوعاء الذي تتحرك فيه الشخصية فلا يمكن للشخصية أن تعيش خارج فضاء (مكان) ففيه ولدت وعليه ترعرعت ونشأة وفيه تموت ،فهو الحيز الذي يكون للشخصيات طيلة حياتها وهو ليس جامد غير قابل للتفاعل بل هو متفاعل معها يستجيب لها ويتأثر بها فلا مناص من القول بان الشخصيات والفضاء دائما في حركة تبادلية يؤثر كل منهما على الآخر ولا يمكن أن يتوقف التأثير ببعضهما البعض .

إلا أن الصفات الواقعية للفضاء علينا إلا نعتقد بان الفضاء الروائي فضاء ا جغرافيا بحثا بل هو مكان خيالي من إبداع الروائي الذي يهرب من الصورة الواقعية المجردة ويميل إلى جعل مخيلته هي الأساس في إبداعه فالروائي

[1] حسن بحراوي ، ص132-133

يضيف على الواقع الذي يريده شيئا من إبداعه وفكره وشعوره وخياله ليصبح الواقع فتيا يتلاءم مع الفن الروائي ،بل حتى حركة الشخصيات في المكان لا يتضمنها في النص الروائي كما هي ،بل عليه أن يضيف إليها إبداعه وخياله وذوقه مما يجعل هناك تفاعلا بين الشخصيات والفضاء .

يمكننا إعطاء نظرة مختصرة عن بعض أسماء الجمال في الصحراء خاصة توات نظرا لارتباط الجمال بالخيال لا يلاحظ أو يكشف من النظرة الأولى للقارئ وإنما يستشف الجمال للنص الروائي من خلال العناصر التي يدور من خلال العناصر التي يدور ويتمحور حولها النص ،ويمكن تلخيصها في ما يلي

4-1 جمالية اللفظ: رغم اختلاف الشخصيات في العمل الروائي تلك المحبة إلا أن هذا المزيج جعل اللفظ لا يفهم أي معقد لا يستساغ ألا بالتجربة والمحاكاة،على سبيل المثال في الفصل الحادي عشر من الرواية نستنبط هذا الجمال اللفظي حيث أن **باحيدة الطالب** يعشق **جويليت** الراهبة ، إلا نلمس هذا إلا من خلال تجلي الألفاظ الدالة على هذا الحب ،حيث وقعت بينهما خطيئة وهذا نسميه في اللفظ مزيج لان العلاقة لا تكون بين شيئين إلا بالاحتكاك وحسب التعامل أو قبحه ورغم اختلاف الديانة ألا أن الراهبة **جويليت** احتكت وذوبت قلب باحيدة الطالب وأصبحت له فريسته في كل فرصة كما سبق وان شهدنا هذا المزيج لسابقيه أي مثلما حدث بين مبروكة وجبرئيل

4-2 جمالية المعنى:إن المعاني الدالة والمطبوعة في الرواية اغلبها حقيقية وصفت لنا المشاهد بمعاني صحراوية "انور" "الرحة " وتجلت كذالك في الأسماء الصحراوية، وان بالغنافي حولنا صحراوية إلا إننا نجد البعض منها لا يمكن أن يستعمل إلا في الصحراء إلا خرج عن الإطار الزمكاني ويمكن استعمال الوسائل القديمة في الوقت الحالي إلا أن هذا قد لا يتناسب مع الجمالية الآنية .

المبحث الرابع: دور اللغة في رسم معالم الجمالية:

تمثل اللغة في النص الروائي مكانا من مكونات الرواية ويعتبرها الناقد عبد الملك مرتاض "العمود الفقري لبنية الرواية حيث لا يمكن لأي مشكل أن يكون إلا بوجود اللغة ونشاطها[1] وبذالك تكون اللغة الروائية هي أداة التشكيل الفني الأولي للرواية والوجه المعبر عن ادبيتها وهويتها التي لا تتجسد إلا بواسطة اللغة ومن خلالها ،وانتماء الرواية لا يكون إلا باللغة التي تكتب بها بغض النظر عن الحكاية وانتمائها إلى هذا المكان ا والى المجتمع[2] وفي حديثه عن لغة النسيج يذهب عبد الملك مرتاض إلى أن وظيفة هذا الشكل اللغوي الذي يطلق عليه لغة النسيج السردي تتجسد في تقديم الشخصيات ووصف المناظر والاحياز والأهواء والعواطف ولا يمكن الاستغناء عنها في أي عمل روائي[3] .

"تحول اللغة في الروائية الماضي إلى واقع معيش وتمتد بالحاضر إلى رؤية مستقبلية مشحونة بالتوقعات وتحمل الإشاعات الفكرية والعاطفية ،كم انه تلعب دور وسيط يقوم بتثبيت مفردات الدلالة وبناء هيكل المعنى الكلي للنص وتنظيم عمليات التصوير والرمز ،دون أن تصل من التبلور والكثافة والتشيؤ إلى الدرجة التي يحل فيهات محل عناصر السرد الأخرى إي دون أن تصبح الكلمة المتوجهة هي منطلق الطاقة التصويرية ومناط الإبداع" [4]

إضافة إلى ذالك يمكن للغة الروائية من أن تتعلق مع اللغة الشعرية وتتداخل معها فيكون النص الروائي "ذا طبيعة تقترب به من الكلام المنظوم ،بما يتفق عنه من لغة ذات تكثيف مجازي واستعاري فضلا عن توخي السلاسل الإيقاعية في السرد وتوظيف النغمة والنبرة ...وتضمين الكلام الكثير من الإيحاء والإيماء الذي تتصف به لغة الشعر". [5]

ومنه يكسب المكان الجمالية، في نطاق تحقيق عرية الرواية ،لكن لابد من الإشارة في هذا المقام إلى الفرق بين استشعار الجمال بالأمكنة وشعريتها حيث يمكن القول: أن استقلالية المادة الجميلة "المكان" وانعزالها عن علاقتها بالوعي والذائقة أمران يخرجان ليس من خانة الشعرية فقط ,بل من خانة الجميل " فالأشياء جميلة لان الإنسان

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية دار الهومة، الجزائر ، 2007 ، ص132

[2] يمنى العيد، في مفاهيم النقد وحركة الثقافة العربية، دار الفرابي بيروت ، ط2005، ص 227

[3] عائشة الحكمي، تعالق الرواية والسيرة الذاتية ، شركة جوبيتير للخدمات الاكاديمية ، الرياض 2010، ص670

[4] صلاح صالح، سرديات الرواية العربية المعاصرة، المجلس الاعلى للثقافة القاهرة ، ط2003 1، ص250

[5] سرديات الرواية العربية، مرجع سابق ص250

يراها كذالك واستشعار الجمال أيا كان مصدره هو درجة في سلم الشعرية واللغة تمثل الحجر الأساس في إقامة دعائم شعرية المكان .

إن الحديث عن اللغة الإبداعية المعبر بها وعن لفظة الجمالية "عند ذكر الأثر الناتج عن فعل المكان في الذات المبدعة والمعبر عنه بلغة شعرية تعتمد توظيف تقنيات الوصف والتصوير والترميز والإيحاء والانزياح والتخيل والتكثيف في بناء المكان الروائي كل هذا طبعا وفق رؤية ذاتية خالصة .هذه الرؤية مع اللغة تؤثران في المتلقي فيفتن بجمالية هذا المكان لغويا وليس بصريا إلى الحد الذي يجعله يتشارك مع المبدع في إحساسه بالمكان وبمعنى أخر القول إن الجمالية لعبة لغوية يمارسها المبدع فيستحيل معها المكان الغائب حاضرا متمثلا في ذهن القارئ وسواء أصورت التقنية أو اللغة مكانا ساميا مقدسا أو مكانا دانيا مدنسا ,فان الأهم يبقى دائما هو أن يستطيع المبدع تصويره ما يريده بوعي فني جميل متميز ،ويبعد هذا المكان المتخيل عن رتابة الواقع ويمكن تمثيل مسالة الجماليات في مفهومين اثنين مفهوم الإبداع ومفهوم الجميل" [1]

"فهذا التعبير على الجوانب الخفية يشكل الفجائية والدهشة والخرق للمألوف يحقق الجمال الفني"[2]
وهذا التعبير الجمالي يختص به الفن عموما والأدب تحديدا .

إن جمالية الفضاء لا تتجسد فقط بتسمية الأمكنة في الرواية أبعادها الهندسية ولا حتى بجمالها الطبيعي المادي بل إنها تتجسد قبل ذالك بمدى تفاعل الروائي الراوي معها وبالكيفية التي يعبر عنها ذالك الجمال الذي أدهشته بطريقة فنية لغوية تثير الكثير من الإدهاش الناتج عن جمالية اللغة لا عن جمالية المكان المحسوس فتوظيف "ما يسمى بالانحراف أو العدول أو الانزياح حسبما يفضله كل ناقد في الصياغة يمثل المنطقة التي يفضي تأملها إلى استكشاف خصوصية اللغة الجمالية وما يصبح به الأدب أدبا واكتشاف فعالية هذا الفضاء في توليد الدهشة لدى المتلقين وجذب انتباههم إلى القول في حد ذاته[3] .

[1] عبد الملك مرتاض ،نظرية النص الأدبي ،دار الهومة الجزائر 2007،ص71
[2] نوارة ولد احمد ،شعرة القصيدة الثورية في اللهب المقدس ،دار الأمل 2008ص32
[3] صلاح فضل ،مناهج النقد المعاصر ،دار الآفاق العربية ،القاهرة مصر ،ط1 ،1997،ص100

فبهذا انتفت تلك النظرة التقليدية التي تمجد المكان الخارجي وتعني برسم تفاصيله المادية عناية كبيره حتى صار المتلقي لا يجد متعة ولا ينبهر بالمكان المذكور في الرواية ،بسبب هذا النقل الحرفي الممل للتفاصيل . حتى لكأنه صور فوتوغرافية ميتة ،لا تحرك الخيال ولا توقظ المشاعر فضلا عن أن تبهرها ،فكان لازاما على المبدع أن يرتقي بالمكان الذي يصفه في ذهن القارئ على الأقل إلى ذروة مستويات الدهشة .ذالك إن الأماكن ليست شعرية لأنها جميلة في تفاصيلها وغير شعرية لأنها قبيحة المظاهر ،كلا أنها تكتسب شعريتها بدخولها عالم النص اللغوي فوحدها اللغة تفصل جماليتها ،وعبر تلك اللغة تصل ألينا الأشياء والأماكن فنعيش تجربتها من جديد.[1]

فاللغة للمكان يقصد بها الصياغة الشاعرية للمكان ولأشياءه وعلاقته من خلال استعارة الرواية للغة الشعر ،واستثمار إمكاناتها الشعرية وطاقاتها الجمالية الخاصة ورفع مستوى السرد المكاني إلى مستويات الكثافة والإشعاع والغنائية والنبرة الحارة والتوتر الحاد وإشاعة مناخات جديدة تعجز لغة النثر عن بثها فبسبب انفتاح لغة الرواية ورغبة كتابها في إضفاء مسحة جمالية على كتاباتهم ,حالهم إلى اللجوء إلى لغة الشعر المكثفة التي يمكن لها أن على حواف المخيلة الروائية للكاتب وتستقطرها وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن تعامل النماذج الروائية المختارة مع اللغة أشعرية قد تم على مستويات متنوعة كتوظيف الألفاظ والتراكيب ذات الإشعاع الشعري ،الصور المجازية المختلفة التي تتموضع في متون الروايات أو في العتبات الخاصة في العناوين والتصديرات الشاعرية ويمكن أن نضيف إلى هذه البيانات تضمين الشعر للتناص وما يثيره من أجواء شعرية أخاذة .

"وغني عن القول إن وصف المكان لا يقتصر على إسقاط الصفات عليه ازو على بعض متعلقاته بشكل مباشر والتي بواسطتها يرصد الروائي خلفيات المكان إذ قد يتقسم الروائي وصفا غير مباشر من خلال توظيف الصورة الفنية التي هي نتاج لفاعلية الخيال وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه وإنما تعني إعادة تشكيل واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة"[2] وهذه الصورة الفنية لا تتوفر إلا حين يكتسب المكان صفة سيموطيقية من خلال إعطائه قيمة دلالية تميز بين الظواهر المكانية التي لا تختلف بعضها عن بعض الواقع ذلك أن الشئ في وجوده الخارجي قد يكون له وظيفة وهي الإشارة إلى حقيقة واقعية في العالم ولكن وجوده داخل النص يجب أن يحمل دلالة خاصة ويتعدى مجرد كونه إشارة[3] .

[1] فتيحة كحلوش ،بلاغة المكان ،مؤسسة الانتشار العربي بيروت ،لبنان 2008،ص66

[2] جابر عصفور ،الصورة الفنية في التراث النقدي ،القاهرة دار المعارف 1973ص340

[3] نجيب محفوظ ،سيزا قاسم ،بناء الرواية ،القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكاتب 1984 ص100

إن الصورة الفنية تتعدى حدود رؤية المكان بعناصره الفيزيائية إلى المشاركة الوجدانية وهو ما يؤكد لنا أن الصورة الفنية لا تثير في ذهن المتلقي صورا بصرية فحسب بل تثير صورا لها صلة بكل الإحساسات الممكنة التي يتكون منها نسيج الإدراك الإنساني ذاته وهنا تكمن عبقرية اللغة الروائية حيث تتمكن من إعطاء أبعاد حسية لما لا وجد له إلا بالوعي وفيه إضفاء صفة الواقعية على ما هو تصويري محض .

من ثم يتسنى لنا القول بان التصوير اللغوي إيحاء لا نهائي يتجاوز الصور المرئية لكونه صوره فنية تمتاز بأنه ثمرة انتقاء وتهذيب للمادة المحسوسة المستمدة من الطبيعة أو من الحياة الإنسانية وغاية هذا الانتقاء هو إثارة التأثير أو الانفعالي الجمالي "[1].

إن وظيفة الكلمات في المحيط الخارجي لا تعدو أن تكون مجرد إثارة الأشياء بعينها بيد أن وجودها داخل سياق النص الروائي يعطيها بعد دلاليا أعمق، إذ تخرج هذه الكلمات من مجرد كونها رموز ذات كثافة دلالية وهي بذالك تنتقل من معناها الدلالي إلى مستوى اعلي في الدلالة .

وجدير بالذكر أن الكلمات تصير رموزا في سياق النص الروائي حينما تكون موحية وتوعز بمعان كثيرة ،تلك المعاني التي يمكننا التوصل إليها من طبيعة الكلمة بذاتها ومن تكرارها داخل النص الروائي ومن كيفية توظيفها في إطار الصورة الفنية فضلا عن علاقتها ببقية العناصر الروائية من شخصيات وحدث وزمان .

إلا انه ينبغي التنبيه إلى أن الدلالة المستوحاة من المكان لا تنبثق بالضرورة من المكان برمته إذ يمكن أن تنبثق من احد عناصره أو احد متعلقاته والفيصل في ذلك السياق المكاني في النص الروائي وتفاعل عناصر الرواية داخل هذا السياق ،فتحليق الطير في السماء مثلا يمكن تفسيره على انه رمز الحرية والانا الأعلى بما تنطوي عليه من مثالية وأهداف نبيلة كما أن السماء في حد ذاتها يمكن إن تكون رمزا للاعتلاء والصعود والوحي والقوة والخلود ذلك أن السماء تعد في كثير من المعتقدات الشعبية مقر للآلهة"[2] .

وعليه فهذه بعض الأمثلة لما يمكن أن ينبثق من دلالات من المكان أو بعض متعلقاته فانه يجدر بنا التأكيد على أن تحديد شكل المكان أو بعض متعلقاته من زواياه المختلفة له دلالته .

[1] أميرة حلمي مطر ، مقدمة في علم الجمال ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1976، ص37

[2] جان صدقة ، رموز وطقوس ودراسات في الميثولوجيا القديمة ، لندن ، رياض الريس والنشر ، ص51

فإذا أخذنا اللون كمثال لهذه الزوايا وجدنا أن توظيف اللون في حد ذاته يمدنا بصورة مرئية للمكان أو احد متعلقاته كما أن تحديد الألوان أو تركيز على لون بعينه له ثقله في الدلالة ،استنادا أن هناك ألوان أساسية وأخرى ثانوية فإذا وصف الروائي مكانا ما وليكن البحر مثل مضيفا على مياهه اللونين الأخضر والأزرق وجدنا أن اللونين يعطيان تفسيرا طبيعيا للمكان من حيث أبعاده المساقية "فاللون الأخضر يرتبط على نحو خاص بالمياه القريبة من الشاطئ والمياه الضحلة... اما اللون الأزرق فيرتبط بالمياه البعيدة العميقة .

وحيث أن النظرة إلى الألوان تعكس حالة سيكولوجية متولدة من المعتقدات الاجتماعية وإذا جاز لنا أن نتصور وصف الروائي لمكان كالسرداب مثلا وطوله وهذا الجمع بين لون السرداب وشكله المتخيل قد يؤدي إلى استنتاج استمرارية آنية هذه الدلالات .

وما أردنا التأكيد عليه هو أن الروائي في وصفه للمكان باستطاعته خلق علاقة لغوية متولدة تتمتع بخصوصيتها من السياق والموضع داخل النص ،وانه باحتواء المكان الواحد لمفردات مختلفة تشكل تفاصيله وجزئياته ،تتبلور لوحة غاية في التركيب قد تبدو بسيطة للوهلة الأولى بيد أن تواجدها في السياق الروائي يحولها إلى رموز يصبح معها كل شئ مطلق وحتى ما يبدو هامشيا يؤدي وظيفته في إطار هامشيته وهذه الرموز تعيد تشكيل أدبية الرواية وتجسيد الرؤية وتؤسس جمالية جديدة "[1].

فاللغة ضرورية لأنها عملية تواصل وترصد الأفكار كما أشار نجيب محفوظ في قوله "اللغة ضرورية للحياة وصانعة رحلة الإنسان الطويلة على الأرض ".

[1] عبادة كحيلة ، عن العرب والبحر ،ط1 ،مكتبة مدبولين ، سنة 1989 ، ص13

الفصل الثالث : نماذج من رواية تلك المحبة

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن المؤلف المؤلف .

المبحث الثاني : ملخص الرواية

المبحث الثالث : التوظيف الجمالي في العمل السردي من خلال رواية تلك المحبة في الرواية الجزائرية

المبحث الرابع : زخم الفضاء الصحراوي .

المبحث الخامس : دور الفضاء في رسم معالم الجمالية

المبحث الأول: نبذة عن المؤلِف و المؤَلف

لحبيب السائح كاتب وروائي جزائري ولد يوم 24 فيفري سنة1950م بناحية غريس لآلة حسناء بمنطقة سيدي عيسى ولاية معسكر ،نشا في مدينة سعيدة وتخرج من جامعة وهران تخصص ليسانس أدب ، درس ما بعد التدرج فاشتغل بالتدريس وساهم بقسط كبير في الصحافة الجزائرية العربية عن طريق مقالاته وحواراته التلفزيونية وغيرها غادر الجزائر سنة 1994منحو تونس حيث بقي هناك نصف سنة ، لينتقل بعدها إلى المغرب الأقصى ليعود بعد ذلك ليتفرغ للإبداعات الأدبية سواء كانت قصص أو روايات .

للروائي عدة أعمال أدبية منها :

- المجموعة القصصية القرار 1979م ،وهي أول مؤلفاته.
- الصعود نحو الأسفل عام 1981م
- الموت بالتقسيط2001م

❖ البهية تتزين لجلادها الصادرة في سوريا عام 2000م

❖ أما الرواية فصدرت له :

❖ زمن النمرود عام 1985م

❖ ذاك الحنين عام 1997موترجمت للفرنسية سنة 2002م

❖ تماسخت الرواية التي صدرت عن دار القصبة عام 2002م وفي نفس العام ترجمت الى الفرنسية

❖ تلك المحبة الصادرة عام 2003م عن منشورات فيسرا كما تم نشر هذه الرواية في طبعة الجديدة عن دار فيسرا سنة 2013م

❖ مذنبون لون دمهم في كفي سنة 2009،

❖ وروايته كولونيل الزبر بر.

❖ من قتل اسعد.

نبذة عن المؤلَّف

رواية تلك المحبة للحبيب السايح الصادرة عن دار فسيرا سنة 2013م لا يمكن الدخول اليها عن طريق أبوابها إلا لمن تسلح بمصطلحات معينة متداولة في ارض توات كما لا يمكن للقارئ البسيط ان يلج عالمه إلا إذا كانت له لغة معينة يستطيع أن يفتك بها معانيه و هذا نظرا لصعوبة لغته واختلاف طريقة سرده للأحداث في هذه الرواية عن سابيقها. وتدور أحداث الرواية في سبعة عشرة فصلا في فضاء صحراوي يمتاز بالرمل والنخلة و الفقارة ، و بالضبط في ولاية ادرار و التي يقسم فضاءها إلى ثلاثة اقليم هي:تيديكلت ، قورارة ، توات . فأحداث هذه الرواية جرت في هذه الاقاليم غير أنها احيانا تخرج عنها وتصل إلى تمنراست أو المنيعة او الاغواط.

يخوض الصراع في الرواية شخصيات تراثية مثل :الباتول ، بنت كلو ، بنت هندل ،إسماعيل الدرويش ،بليلو.....كما نجد في الرواية شخصيات تاريخية مثل :محمد التلمساني ،حسن الوزان ،ودوفوكو.

تمتاز رواية تلك المحبة بثنائية الغموض و السطحية ،وثنائية القيم النبيلة و الشاذة ، كما أنها لا تخلو من الأساطير والخرافات والتصوف.....كل هذه الأحداث جاءت معبرة عن الواقع الذي كان يعيشه سكان منطقة ادرار.وقد قسم الروائي روايته إلى سبعة عشرة فصلا هي كالأتي:

"الفصل الأول :خطي شفتيك على صدري صبر النخيل.

الفصل الثاني : كوني لي أندلسا بين توات وقدس .

الفصل الثالث: عودي من حفرة الحزن فسريري من ماء

الفصل الرابع: كوني بيضاء أو سوداء فأنا اللون والظل.

الفصل الخامس: أنا المصنف وأنت امرأة هي النساء جميعا.

الفصل السادس:لو يبكي سلو ،لو تغني حسونة فأنت سيدي .

الفصل السابع: بليلو الخلاسي ماريا الرومية، السخرة والمحبة.

الفصل الثامن :غواية جبريل فكرة مبروكة ،إصحاح إنجيل .

الفصل التاسع : جبريل صليب من خشب مبروكة هلال من نور.

الفصل العاشر: ثمة جبرائيل ثمة خطيئة ولمبروكة مربع الضوء.

الفصل الحادي عشر : باحيدة الطالب جولييت الراهبة بمحبة النخيل.

الفصل الثاني عشر :قالت في حي الحطابة ،حيث فقارة وجامع .

الفصل الثالث عشر :مكحول جميلة ،غدا نخل في تمنطيط.

الفصل الرابع عشر :قالوا ساحرة قلت أنا الدرويش والبتول فتنة .

الفصل الخامس عشر :اجعل جنازتي حفرة لأتلو عليك محبتي.

الفصل السادس عشر :أنت لي أتملكك،أنا آسية عشقتك.

الفصل السابع عشر :ادرار لا تسكن قلبي و لكن تلك هي المحبة "[1].

المبحث الثاني : التوظيف الجمالي في العمل السردي في رواية "تلك المحبة".

يعتبر التوظيف الجمالي قطب العملية الإبداعية في العمل الروائي ،وتمثل اللغة المادة الخام لجميع الأجناس الأدبية التي يتأسس عليها الإبداع الأدبي ، وتتأسس عليها جماليته. وإذا كانت اللغة تحمل الإشعاعات الفكرية و العاطفية وتقوم بدور الوسيط في تثبيت مفردات الدلالة وبناء الهيكل الكلي للنص ،فان الفضاء يعمل على تحقيق جمالية و شعرية الرواية .

ولا تتحقق اللغة الإبداعية و التي تدل على الجمال إلا بتوظيف تقنيات أهمها : الوصف و التصوير و الترميز و الإيحاء و الانزياح و التخيل و التكثيف ....وبمعنى آخر يمكن القول : أن الجمالية لعبة لغوية يمارسها المبدع فيستحيل معه المكان الغائب حاضرا متمثلا في ذهن القارئ ،و سواء أصورت هذه التقنية أو اللغة مكانا ساميا مقدسا أو مكانا دانيا مدنسا ، فان الأهم يبقى دائما هو أن يستطيع المبدع تصوير ما يريده بوعي فني متميز ، ويمكن تمثيل مسالة الجماليات في مفهومين اثنين هما الإبداع و الجميل .

وتجدر الإشارة إلى أن الجمالية لا تتحقق إلا بتسمية الفضاءات و تحديد أبعادها الهندسية ، ولا تتحقق كذالك بجماله الطبيعي فقط ، بل تتحقق أيضا بمدى تفاعل الروائي مع الفضاءات و بالكيفية التي يعبر بها عن الجمال الذي انجذب نحوه .ومن ابرز ما يمكن أن نلمسه في رواية تلك المحبة من توظيفات جمالية ما يلي :

[1] الحبيب السايح تلك المحبة ، دار ميم للنشر ، سنة 2016 ، ط 1 ، الجزائر ، ص 38

اللقطة الجمالية لحالة العشاق بين إسماعيل الدرويش و البتول، حيث يمكن ملاحظة جمالية سحرية في كل ما تعلق بهما سلوكا و تأثيرا "....قالت امرأة في نسوة على كاس العشاء في زيارة رجل المدينة الصالح : كان الهجير عظيما يم دخل إسماعيل الدرويش مغارة تمنطيط وراء امرأة بهية لم تكن غير البتول أغوته فاستدرجته إليها، لا تطأ رجلها رملا إلا صار خضرة ، و تحولت ظلمته نورا ووحشتها إنسا وسراديبها أروقة عامرة ، وسكونها حياة ، ووهبتها أمنا، وطيوره الظلامية حوريات كواعب، ورائحة طوبها الخانقة عطرا ، و جرى ماء فقاراتها سلسبيلا ، و أشرقت الدنيا في نباتها "[11].

كهذه الأحداث وقعت بأسلوب يمزج بين متضادين رجل المدينة الصالح مع هيمنة الجذب و الفتنة ،مع غريزة الشهوة الجنسية في علاقة صوفية كنه القداسة و اصل المرجع .

ومن ابرز التوظيفات الجمالية في النص الروائي نجد العبارة :(...أخذته إلى الفراش، وهو مطاوع باسم منعم، فقد كانا في خلوتهما، مثل زوجي حمام ، لا يسمع لهما هديل مهموس يؤنس الجدران الترابية التي نمقتها يد ليست من يد إنسان ....)فهذه القطة موغلة في الجمالية وظف فيها تقنية توحيد الإشكال و دفعها إلى التماهي و التداخل، رغم بيئة النص. ونجد كذالك "كشفت يوما عشا لعقربين كبيرين و معهما عشرات العقارب الصغيرة، فجئت بدلو و كفاته عليهما ووضعت الطين على الحافة حتى لا يخرج احد. وبعد أيام أخرى وجدت العقرب الكبير أكل بقية العقارب كلها فأغلقت عليه حتى مات جوعا "[2].

ومن جماليات السرد في الرواية كذالك العبارة التالية "...استغفر الحق و ارتجي الشفاعة من حبيبه ، وابتغي مرضاة الأقطاب و الأولياء و الأئمة و الأوتاد و الحكماء و الصالحين و الصوفية و الزهاد و رجال الرمل و الماء و الفقراء و الاعتماد..." [3] فهذه العبارة التي سبكت و نسجت نسجا محكما توهم القارئ بان هناك أرواحا غيبية و أولياء صالحين لهم قدرة على التأثير في إنتاج النص ، بل إنهم يساهمون في رسم الأحداث و الوقائع و في سلوكات الشخصية . وهذا ما جعل النص كثير الإحساس بالدهشة و التكهن. .

ومن ابرز آليات الجمالية في هذه الرواية تسخير أسلوب التقابل و التضاد من اجل خلق اكبر عدد من الانزياحات للكلمة ،وهذا ما يضع جدلية في ذهن القارئ قصد إيجاد جدلية لتأويل النص . وفي هذا السياق نجد

1الحبيب السايح تلك المحبة ، مرجع سابق ، ص 76 1

2 نفس المرجع ص 290

3 نفس المرجع ، ص 90

العبارة التالية :(ادرار لا تسكن قلبي ، ولكن تلك هي المحبة) فهذه العبارة تجعل القارئ في معاناة ذهنية لفك شفرات النص لغويا و دلاليا .

وما يمكن قوله أن هذه العبارات و التي هي كثيرة في النص قد ساهمت بنسبة كبيرة في تلوين الفضاء و الحدث عن طريق المزج بين الواقع الجغرافي ومكوناته ، وهذا ما يدل على أن للكاتب إرادة في الابتعاد عن تقديم الوقائع و الأحداث بالطريقة القديمة الكلاسيكية .

ومن ابرز التوظيفات الجمالية في النص الروائي نجد العبارة :(...اخذته الى الفراش ، وهو مطاوع باسم منعم ،فقد كانا في خلوتهما ، مثل زوجي حمام ، لا يسمع لهما هديل مهموس يؤنس الجدران الترابية التي نمقتها يد ليست من يد انسان ....)فهذه القطة موغلة في الجمالية وظف فيها تقنية توحيد الاشكال و دفعها الى التماهي و التداخل ، رغم بيئة النص .ونجد كذالك (كشفت يوما عشا لعقربينكبيرين و معهما عشرات العقارب الصغيرة، فجئت بدلو و كفاته عليهما ووضعت الطين على الحافة حتى لا يخرج احد .وبعد ايام اخرى وجدت العقرب الكبير اكل بقية العقارب كلها فأغلقت عليه حتى مات جوعا)

ومن جماليات السرد في الرواية كذالك العبارة التالية (...استغفر الحق و ارتجي الشفاعة من حبيبه ، وابتغي مرضاة الاقطاب و الاولياء و الائمة و الاوتاد و الحكماء و الصالحين و الصوفية و الزهاد و رجال الرمل و الماء و الفقراء و الاعماد...)فهذه العبارة التي سبكت و نسجت نسجا محكما توهم القارئ بان هناك ارواحا غيبية و اولياء صالحين لهم قدرة على التأثير في إنتاج النص ، بل انهم يساهمون في رسم الاحداث و الوقائعو في سلوكات الشخصية . وهذا ما جعل النص كثير الاحساس بالدهشة و التكهن. .

ومن ابرز اليات الجمالية في هذه الرواية تسخير اسلوب التقابل و التضاد من اجل خلق اكبر عدد من الانزياحات للكلمة ،وهذا ما يضغ جدلية في ذهن القارئ قصد ايجاد جدلية لتأويل النص . وفي هذا السياق نجد العبارة التالية :(ادرار لا تسكن قلبي ، ولكن تلك هي المحبة) فهذه العبارة تجعل القارئ في معاناة ذهنية لفك شفرات النص لغويا و دلاليا .

وما يمكن قوله ان هذه العبارات و التي هي كثيرة في النص قد ساهمت بنسبة كبيرة في تلوين الفضاء و الحدث عن طريق المزج بين الواقع الجغرافي ومكوناته، وهذا ما يدل على أن للكاتب ارادة في الابتعاد عن تقديم الوقائع و الأحداث بالطريقة القديمة الكلاسيكية .

مصطلحات الجمال

تتجلى مصطلحات الجمال بشكل أوضح في الفصل الثاني "كوني لي اندلساً بين توات وقدس "،والفصل السابع بليلو الخلاسي ماريا الرومية ،السخرة والمحبة.

المشهد أو المقدمة أو العنوان في الفصل الأول يوحي إن هناك مزج بين الأندلس وما للأندلس. فهي مدينة جميلة وقلعة رائعة فهو يريد من عشيقته أن تكون له الأندلس في الشكل والمضمون أي الجمالية التي لا يعرفها إلا المحب للمحبوب والتناظر بين توات والقدس .فهي صفة توحي إلى التقديس والعظمة ،فطابع الرواية يضع القارئ يعيش ملحمة الحضارات القديمة والتيارات الفكرية القديمة والمعاصرة ومدى تضارب وتصادم ،التقاء في المعالم والعادات والتقاليد يمكن أن نجعل المصطلحات التالية للجمالية في الرواية .

***الأندلس** :وهي المدينة الساحرة التي نبهر الزائر ويجد فيها كل ما يصبو إليه

***توات** :الرقعة الصحراوية التي تحمل بين طياتها تاريخ الأجداد ورمز للأجيال .

***القدس** :المكان المقدس عند المسلمين الذي عاش فيه معظم الأنبياء واختلفت فيه الديانات .

وهناك العديد من المصطلحات المستعملة في الرواية :

***الرمز الطبيعي** : صبر النخيل في الفصل الأول(خطي بشفتيك على صبري صبر النخيل)

***الأسماء الجامدة** :يهود توات ،تمنطيط ، الأندلس (الفصل الثاني) كوني لي اندلسا بين توات والقدس

***الاماكن** : حفرة الحزن الفصل الثالث (عودي من حفرة الحزن فسريري من نار)

مزج الألوان :(كوني بيضاء أو سوداء فانا اللون والظل) في الفصل الرابع

الأصناف أو الوحدات النصية : في الفصل الخامس (إنا المصنف وأنت امرأة هي النساء جميعا)

***الأسماء والرموز** :في كافة الفصول وخاصة الفصل السابع (بليلو الخلاصي ماريا الرومية السخرة والمحبة)

***الشخصيات الحية** :ونطلق عليها الحقيقية التي تعرف بدون رمز أو إيحاء (باحيدة ،ماريا ،جبرائيل)

ومنه يمكن أن نلخص هذا المطلب فيما يلي:

لا يمكن تحديد مصطلح معين للجمالية إلا أن الجمالية الروائية التي نحن بصدد دراستها تجعلنا نصل إلى حقيقة النص كيفما كان شعرا أو نثرا فانه ينبئ على حقيقة فهم النص وتأويل مضمونه كما جاء في كتاب محمد بازي "التأويلية العربية " بقوله " يمكن أن توجد تاويلات لا متناهية للنصوص الشعرية ،معتمدة على سيميوطيقة تأويلية قائمة على قصد المؤلف وأخرى قائمة على قصد النص وثالثة تؤول تأويلا لا نهائيا نصا اعتبره صاحبه ذا معنى واحد".[1]

المبحث الخامس : ملخص الرواية .

الفصل الأول : خطي بشفتيك على صدري صبر النخيل .

وقد تمركز الحديث في الفصل الأول عن الأماكن و الفضاءات و ما لها من اعتقادات غيبية ميتافيزيقية بالإضافة إلى ما في منطقة ادرار خصوصا توات من خرافات مشتركة و مرجعيات دينية متأصلة في التصوف الذي كانت توحي به منطقة توات .

الفصل الثاني : كوني لي أندلسا بين توات وقدس

تحدث الحبيب السائح في هذا الفصل عن الطالب باحيدة الذي روى الحكاية للبتول.وقد تناول ذلك، بشرح جميل ومثير عن محمد التلمساني الذي عاد من الزيارة الكبرى فقال لهل : (روى من سمع عن احد من أحفاد التلمساني بعض سيرته وما لحق باليهود على يده ،ان احد الناجين من دواويين محاكم التفتيش قال إن الفتى كان يرى نفسه في المنام مقمطا في أثواب المسلمين الملطخة بأثواب المسلمين.....، وفي مهب الريح وقف يرى الهلال يسقط هنا و هناك ليرتفع مكانه الصليب فصاح بعائشة الحرة) ، كما تناول الروائي في الفصل هذا محاكم تفتيش المسيحية التي كانت تقتل وتطارد المسلمين واليهود في الأندلس، حتى رحلوا هربا إلى شمال إفريقيا. عندنا في الجزائر. فاستوطنوا تلمسان ومنها انتشروا في باقي المدن القريبة والبعيدة حتى بلغوا أرض توات. تمنطيط تخفيف ؛ كانت مهد معظم يهود أرض توات.

[1] محمد بازي "التاويلية العربية " نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات ، دار العلوم العربية للنشر والتوزيع بيروت ، ط1 2010، ص 45

كل هذا جاء في شكل روائي شيق وثري بالأسماء التي توحي بالعرق اليهودي أو " الموسوي " والأسماء الإسلامية التي أشار إليها بـ"المحمديين " كما رسم ما كان يجمع بينهما من علاقات اجتماعية نفعية، كالاقتراض والحِرف وحسن التدبير.

الفصل الثالث: عودي من حفرة الحزن فسريري من ماء

تناول الفصل بعض القيم الشاذة والتي كانت تمارس ، والذي وصف فيه الراوي المخنث سلّو بشكل شهواني مذهل(وهام في محياها المنور بالسلام، فيما تبصرت في عينه المرموقتين بالشوق.....تعانقا لضته إليها ضاغطة نهديها على صدره ، و قبلته مدخلة ساقها في ساقيه.وتمددا في الماء لحافا لهما.....) وكذلك ما وصفت إحداهن ذكر سلو بالقول " ماسورة مدفع بين عجلتين ".وهذا ما يدل على إن أحداث الرواية مستمدة من الواقع ؛ وكانت مرآة لما يعيشه المجتمع آنذاك لأنها صورة مستهلكة يتداولها الناس في حياتهم اليومية.

الفصل الرابع: كوني بيضاء أو سوداء فأنا اللون والظل

يتناول لحبيب السايح، في هذا الفصل القمع الذي كان يمارس بين فئات المجتمع كالعلاقة التي تربط بين العبيد و الأسياد. فتحدث الروائي عن العبد بليلو وكيف كان يجالس الأسياد ويتقاسم معهم أسرارهم وأحوالهم تحت فعل الحشيش، الذي كان يحصل عليه ويغذي أحلامهم به. لم ينس بليلو أن يذكر نسبته للسيد الذي كان يضاجع أمه وقتما يحلو له، وفي ذلك إشارة ذكية لوصف القمع الذي كانت تفرضه علاقة العبد والسيد. كما تطرق في نهاية الفصل الى الحوار الذي وقع بين بليلو و ماريا، فوصف فيه جانبا من المحبة حين قال لها: " جوزيفين لقد بلغت من المجد حدا لم يبلغه أحد، لكنك الشخص الوحيد الذي أعول عليه.

في الفصل الخامس: أنا المصنف وأنت امرأة هي النساء جميعا

في هذا الفصل لم يتوان السارد في ذكر محاسن ومفاتن السيدة البتول التي جاء تناولها في النص (المصنف؛ مخطوطة الدرويش) على لسان طيطمة التي فضحت غيرة بنت كلّو التي قتلت علي الشريف ومن أمثلة ذلك : ترشفك من شفتيها المرطبتين ريق من شهد مازجة ما حوته من مسكرات الروح .فما لعينك بعد نظر كأنك في قلب الغيبة وهدهدة السبات ونشوة التحليق .يملا عليك صدرها المثمر الاحتضان و العمران ...إن عبرت سرتها وجدتها مجوفة كثغر كاس صنعتها يد حاذقة كي لا تسع غير رشفة خمر واحدة..

الفصل السادس :كلو يبكي سلو ، لو تغني حسونة فانت سيدي

يتمحور الحديث في هذا الفصل إعجاب النساء ببهية ذات اللون الأبيض وإعجابها بالبتول ، غير أن بنت كلو حول الإطاحة بالبتول ومكحول فلم تتمكن من ذلك .ثم بعدها دار الحديث عن سلو و طيطمة و بين البتول و زوجها المهندس مكحول ، أين أخبرته بالخطر الذي كان يهدده ،لكنه عاندها ليختفي بعد مدة ولن يرجع إلا بعد الجزية .

الفصل السابع: بليلو الخلاسي ماريا الرومية، السخرة والمحبة

هنا تناول الروائي رحلته بحثا عن ماريا الرومية التي أحبها، فعبر الصحراء من الجنوب إلى السهوب؛ من ادرار إلى منيعة إلى الأغواط أين زار كردان مهد التيجانية ووصف الأمكنة والصفاء والفضاء حتى بلغ مدينة بوسعادة.. كما يمكن الإشارة إلى ذلك التشبيه الجميل الذي رسم به الكاتب أصابع عثمان (في كردان) وهي تنساب على مناقير البيانو بالقول :

((..فأشار إليه فتحركت أصابعه كريشات جناحي عصفور أعثره الطيران..)).

الفصل الثامن : غواية جبريل فتنة مبروكة ، إصحاح إنجيل .

تدور أحداث هذا الفصل حول مبروكة و الأب جبرائيل ، حيث تعلقت مبروكة بجبرائيل كبير فأصبحت تترقبه وقامت بعدة حيل وخدع لتقع به غير.وقد تمكنت من ذلك فقد كاد أن يرتد عن ديانته المسيحية (لولا خوفي من اتهامي بالردة لحفظت كتابكم .....فقلبي يدعوني أن أجرب ، وعقلي يمنعني).وبعدها يصل الخبر بهذه العلاقة إلى لدباري زوج مبروكة فهددته بطلب الطلاق ،لأنها كانت تعلم بشذوذه الجنسي ، ثم تنتهي العلاقة بينهما ليس خوفا من زوجها ،بل خوفا من سيدتها .

الفصل التاسع : جبريل صليب من خشب مبروكة هلال من نور

في هذا افصل اعتمد الكاتب تقنية الإرجاع أو الاستذكار على محور السرد، فكان ذلك بعدما فتحت مبروكة كراسة جبرائيل في الكنيسة وأخذتها وقرأتها على مهل بعد ما حاول جبريل إخفاؤه عليها لأنه كان أكثر صمتا من جدران بيته . .

تذكر انه لمح لمبروكة ،قائلا : لاشيء كالمحبة تخترق حب الدين و الملة و العرق ..... كان أهل ادرار لا يكنون لجبريل عداء ....

الفصل العاشر: ثمة جبرائيل ثمة خطيئة ولمبروكة مربع الضوء

في هذا الفصل توصلت مبروكة لاكتشاف الأصل العسكري لجبرائيل واكتشفت معه فضاعة القتل والتنكيل كما كان يصفها جبرائيل (في مذكراته) ومدى الإبادة التي لم تكن مجرد نتيجة لحرب، لكن انتقامية نادت لها أصوات القدامى من الجدود الصليبين.

((.. يومها كان القس المرافق قال للقائد :

إن كانت هناك لعنة أصابت من سبقونا فلأنهم لم يوسعوا للصليب بقدر ما رزحوا تحت هلال من أذلوهم ثمانية قرون)).

فترجاه :

باركني.

وركع عند قدميه. فقال له :

ــ بوركت ما وسّعت للصليب كي نبسط وجه الرب على هذه الأرض)).

وأيضا في نهاية الصفحة.

وهمس لضابطه :

ــ لن تلطخ القذارة يديك إن أقدم جنودك على تدنيس مزارات أولئك الهمجيين... وتخريب بيوتهم. فأنت إنما تأخذ بثأرك من أحفاد من ألحقوا بأجدادنا الأهوال...في جزيرتنا الخضراء والقدس والقسطنطينية وفي هذا البلد نفسه)).

الفصل كان يدور في تضاد الحب بين مبروكة(الجميلة) وجبرائيل(الوحش) والقبح الذي جرت احداثه في فضاء جغرافي لا يتعدى الكنيسة المغطاة بالقبب

الفصل الحادي عشر : باحيدة الطالب جولييت الراهبة بمحبة النخيل

في هذا الفصل وصف الروائي بشكل ممتع و صاخب وممتلئ بالأشواق والممنوع بين باحيدة المسلم الذي ضاق ذرعا بحب جولييت المسيحية التي دفعها حرمانها العاطفي إلى الرهبنة برغم توحد الديانة في الممنوع (الحرام)، وقد انتهى كلاهما إلى الوقوع في المحظور، تماما مثلما حدث بين مبروكة وجبرائيل.

مرت الفصول في ثنائيات جميلة، تزاوجت فيها المغامرة والشوق والإشباع، بلغة ممتنعة مرنة أسطورية،فعبر الفصول، يمكن للقارئ ملاحظة أو شم رائحة الصراع النفسي العميق والحاضر بعذاباته الدائمة، بين الدين والأشواق وبين الرغبات وفتنة الجسد؛ جبرائيل و مبروكة، بليلو وماريا،...

الفصل الثاني عشر :قالت في حي الحطابة بينفقارة و جامع :

يتحدث الكاتب في هذا الفصل عن الأحداث التي جرت بين بنت كلو و تب وبمجيء صيدا سمينة من وهران و محاولة هذا الأخير ضيافتها كما تحدثت عن بليلو و خالته بنت كلو ، والذي طالب منها الانتقام- من باسمعان – ولم تخلو الرواية من الصراع القائم بين النساء الصحراويات بنات المنطقة ،و القادمات من المدن الشمالية (التلية) مثال ذلك : التلية انفها مسلول و عينها كحلاء. حاجبها كبير مقرون وصدرها ثامر .مقودة و عامرة المرأة تطمع فيها.

الفصل الثالث عشر : مكحول لجميلة (غدا ندخل تمنطيط).

يتناول الروائي في الفصل هذا كل ما جرى بين مكحول و جميلة في الفضاء الصحراوي المتمثل في تمنطيط، حيث عمد الكاتب إلى إبراز جمالية المكان بوصف بساتين وكهوف و سور قصور تمنطيط، و لم يتوانى الكاتب في رسم هندسة البيت الطيني الذي دخلاه وما أجمل ذلك حين يوظف تلك المصطلحات القديمة التي لا يمكن تغييرها و إلا فقد السرد جماليته مثل : الدكانة ، الرحيبة ، القوس ، بوضلعة ،.....كما تحدث عن كل الأحداث التي تقع في منطقة توات عنما يتزوج تواتي من منا مراة من الشمال ، وما يقال فيه من كلام على لسان النسوة بالإضافة إلى ما يتلقاه من ترحيبا و كرم .

الفصل الرابع عشر : قالوا ساحرة قلت أنا الدرويش ، و البتول فتنة.

تدور أحداث هذا الفصل حول العلاقة الغرامية بين الدرويش إسماعيل و البتول في مغارة تمنطيط وبقائهما هناك لمدة طويلة .في حين إن بنت كلو و سلو كانا قد أرسل من يتجسس عليهما ، ثم يكتشف أمرهما من طرف الشيخ الذي علم بحقده عن البتول التي رفضت الزواج به بحجة إن عمها المتكفل بها كان غائبا ، وبعد ذلك في صورة جميلة صور لنا الكاتب القنبلة الذرية التي فجرت في رقان ، و معركة حاسي صكة التي وقعت في ضواحي تيميمون وما خلفته من أضرار على سكان ولاية ادرار و توات خصوصا .

الفصل الخامس عشر :اجعلي جنازتي حضرة لأتلو عليك محبتي

يتحدث الكاتب في هذا الفصل عن الحب الذي وقعت فيه البتول الفاتنة مع التارقي عبد النبي صاحب الجاه و المال ،في حين يتواصل حديث النسوة عن العلاقة التي كانت تربط بينهما من قبل، فحين يرتبو أن ما حدث هو عار لان كبراء رجال توات لم يتمكنوا من الزواج بالبتول ، ثم تواصل سرد الأحداث عن أن هذه العلاقة كانت بفعل جان ، إلى أن يكتشف في الأخير إن ما وقع لم يكن إلا رؤيا.

الفصل السادس عشر: أنت لي ، أنا السيدة عشيقتك.

تتحدث الرواية في هذا الفصل عن اليوم المشهود و الخوف الذي أصاب نساء البلد(توات) فكان الحديث عن يوم الوعدة أو ما يسمى ب (الأسبوع) التي تقام في تيميمون وما تقام فيه من طقوس كالإطعام الجماعي والغناء الفلكلوري المسمى بالشلالي.

الفصل السابع عشر: ادرار لا تسكن قلبي ، ولكن تلك هي المحبة .

الحديث في هذا الفصل الأخير عن القوال البوسعادي الذي حل بمنطقة توات وما قام به من أشياء غريبة و عجيبة ، خاصة مع النساء اللواتي كن يترددن عليه من تفسير أحلامهن، حيث كان يتحرش بهن ويكشف عن زينتهن ، وكل هذا كان بفعل الطلاسم و الشعوذة التي يمارسها بعصاه السحرية ، غير أن هناك من اعتقد إن الرجل صالحا ، فهتف رجل وقال (فانوس الرجل الصالح).

المبحث الثالث : زخم الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية.

ازدادت شدة النقاش بين النص و مبدعه و قارئه خاصة في الفترة الأخير ، وهذا ما أثار جدلا كبيرا بين الدارسين في المجال الأدبي حول النص الأدبي و موت المؤلف و إقصاء المبدع في مسالة تذوق النص .

لكن زيادة على ذالك يبدو أن " مقصدية الأشكال لا تنحصر فيما بعد انجاز النص و تعميده و إطلاق سراحه في مسارات تانشر و دهاليز القارة و التقييم، بل ربما نذهب إلى ابعد من ذالك ،حين قدرت ان في تلك المحبة أن هناك عناصر قد تمثل و تتبلور في الذاكرة ، كما قد تحوم حول مغريات المطمورة في العمق الشاعري و الهوية السحرية لمخزونات الإعجاز والإبهار ،ولكن الموكد على هذا و ذاك إن الجغرافيا كانت صاحبة شان كبير في تلبيس النص حلية و هندامه ، حتى يمكنني المجازفة بالقول بأنها هي التي كتبته "[1]

ومن أمثلة ذلك نجد الروائي الجزائري الحبيب السايح الذي عاش في الصحراء الجزائرية لمدة عشر سنوات تقريبا، الذي نجده ينفصل و يتقلب عن كل السلوك و الثقافات السابقة.وقد يكون هذا الانتماء و الحب الكبير للصحراء سببه حب أحضان و شبقات تلتصق بجغرافيا الفضاء الصحراوي

كما أن التقرب من جماليات المكونات الجغرافية قد تساهم بقد كبير في تذوق وتلميع مكامن التجربة فيه ، والتي بدون شك تستدعي من القارئ و الكاتب عدة قراءات متعددة و متنوعة ذات صلة بتلك المكونات الجغرافية، وهذا ما جعل الكاتب يحين محبته نحو ملامسة عمق المبدع و جوهره ، حيث وجد هويته الكتابية الاحترافية لأنه يكتب داخل المكونات الجغرافية في ادرار منذ السينيات و منطقة توات .

ولقد تعددت وجهات النظر بالنسبة للفضاء الذي أدى تعدد دلالاته ، كيف لا وهو الذي تتناوله الدراسات الأدبية . ومع ذلك فإننا نتناول الفضاء في النص الروائي ، لان الفضاء هنا لا يقتصر على مفهومه بل يتعداه إلى ما يحيله من دلالات و من معاني في النص الروائي .

ولعل ما يثير الانتباه في روايات الحبيب السايح هو تعدد الفضاءات الصحراوية ، الذي يؤكد شساعة الفضاء الصحراوي، حيث يصف هذا الفضاء سيمات أساسية وقوة فاعلة في النص الروائي ، ويكتسب الفضاء في الأعمال الروائية أهمية كبيرة لأنه احد عناصرها الفنية ، بل انه هو الذي يحوي هذه العناصر ،و لذلك فان الروائي صور لنا الفضاء الصحراوي وجسده ، وهذا ما جعل القارئ قريب منه لأنه مفعم بالدلالات النفسية و الاجتماعية....ولعل من ابرز الفضاءات التي ذكرت في النص ما يلي :

1- **توات** :

عُرفت منطقة توات على مر التاريخ بأنها أرض أمان واطمئنان وقد توافد إليها عدد كبير العلماء من كافة الأقطار العربية والإسلامية فقد سكنه اليهود قديما و البربر، على الرغم من كثرة جدبها ، وقلة رزقها . فهي معروفة بأنها "ذات سباخ ، كثيرة الرمال والرياح ، لا تحيط بها جبال ولا أشجار ، شديدة الحرارة المفرطة ، لا يكاد ينبت فيها شيء فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها"وهي إلى هذا "لا تنكأ ظالماً ولا تمنع غانماً ، وهي يكثر فيها الصالحون وهذه كلها عوامل شكلت الشروط الأساسية والمواتية لقدوم العلماء ، والزهاد ، واستقرارهم بالمنطقة .

2 - الفقارة :

نظام يستعمله الفلاحين لسقي البساتين: و الفقارة عامل استقرار لسكان المنطقة : حيث نجد أنه وبالنظر إلى الظروف الطبيعية القاسية التي تعرفها الصحراء عامة لم يكن باستطاعة ومقدور الإنسان العيش لولا وجود الماء بوفرة.

وللفقارة عدة دلالات منها :التعاون الجماعي ، مبدا المساواة و العدالة بين الأفراد ، التنشئة الاجتماعية ....

المبحث الرابع : دور الفضاء في رسم معالم الجمالية :

عادة ما يبحث قارئ النص الأدبي عن إجابات تختلج نفسه ، فهو يتساءل دائما عن سبب انجذابه الى نصا أدبيا معين عن بقية النصوص الأخرى ، وغيرها من الأسئلة غير أن الإجابة عن التساؤلات لا تخرج عن ماهية النص و جماليته عن النصوص الأدبية الأخرى ، فالإنسان بطبعه و فطرته يحب الجمال ويستحسنه.

"و القارئ كذلك يبحث دائما عن لذة يتذوقها في النصوص الأدبية ، وليس هناك من طريقة انسب سوى التطلع إلى عناصر الجمالية التي تنطوي عليها النصوص الأدبية و الفنية ، غير ان الجمالية لا تبدو ظاهرة في النصوص الأدبية ، بل أنها قد لا تبدو فنية ، فالقارئ هو الذي يكتشف و يحس بهذه الملامح الفنية .

ولا يقتصر الجمال في الأشكال الأدبية فقط بل يتعدى ذالك إلى الأعمال الصناعية و الطبيعية وغيرها .والجمال هو القيمة الحقيقية للنص و الذي يسعى القارئ ورائها بعيدا عن كل الخلفيات السابقة . ولكل نص أدبي جمالية خاصة به وإجمال يتشكل بتشابك عناصر متعددة في النص وبجملة من التأثيرات الخارجية و اللغوية ، ضف إلى هذا مجموعة من الحواس تتفاعل مع بعضها لتنتج تصور جمالي و متعة فنية يشعر به القارئ".

ولان الفضاء الروائي كائن فعال مؤثر في كل ما يحويه سواء كانت شخصية او حدث او زمان او لغة او سرد فان حركة هذه العناصر لا تكتمل الا بالفضاء الذي يعطي لبقية مكونات الرواية دلالاتها .

ومن الملاحظ أن لحبيب السايح أبدع و أحسن استعمال الفضاء الصحراوي ، فجعله إبداعا جماليا بامتياز . ولعل من ابرز ما زاد النص جمالية في الفضاء هو تلك الدلالات المقدسة التي تحملها تلك الفضاءات ، وهذا ما أبدى عمق فريد في شريين و مستويات الذاكرة الصحراوية و الينابيع الناصعة و الثرية لمكونات الجغرافيا في هذا الفضاء

وما زاد الأمر جمالا هو تملك الكاتب لتجربة جديدة في الكتابة ، بالإضافة الى ذالك إحساس و إدراك الكاتب لكائنات هذا الفضاء ريفا و بادية .

" فتوات ذات وزن في منطقة الجنوب الجزائري ، فهي حامية جادة للهوية الوطنية ، فقد تجلت توات في الرواية عن كينونتها الجامدة وانتمت إلى فئة بني الإنسان بإحساسها ومشاعرها و تفاعلها مع متغيرات و مصائر السكان ، مما جعل النص الروائي يتداخل مع الفضاءات المحيطة به ."[1]

وقد تناول الكاتب فضاء الأندلس الذي أضفى جمالية واضحة في الرواية ، فهي انصع أوجه الحضارة العربية و الإسلامية و الإنسانية ، وهي التي تبرز طارق بن زياد وفلول من العلماء و القادة الجزائريين الذين بفضلهم تم فتح الأندلس ، فالأندلس نموذجا رائعا للفن و الحب و الجمال و بالمقابل فقد تركت وشم عار في وجه الإنسانية بما خلفته من جرائم و فظائع في حق المسلمين و اليهود .

أما القدس فهي ذاك الجرح الذي لا يشفى فهي أوسع دلالة و ابعد عمقا ما يمكن الإشارة إليه ، حيث تحولت على مر العصور و الأزمنة من مكان جامد ومادي يحمل خصوصيات تقديسية إلى فضاء عقائدي اديولوجي يتجدد و يتولد فيه مزيدا من الحروب و الأحقاد و الضغائن بين الديانات الثلاثة : (اليهودية ، المسيحية ، الإسلام) رغم التفتح العلمي و الديمقراطي و تزاوج الثقافات و الحضارات .

1- محمد بشير بويجرة ، محنة التاويل زخم المرجع و فتنة الواقع ، مرجع سابق ، ص 41

الخاتمة:

لاشك إن قيمة أي دراسة تتحدد بمدى ما تحققه من نتائج وإضافات جديدة ومفيدة .

فبعد دراستنا المتواضعة التي تطرقنا فيها إلى جماليات الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية توصلنا الى جملة من الاستنتاجات والتي نامل أن تكون كمعين للدراسات الجامعية اللاحقة وقد تمثلت الاستنتاجات فيما يلي :

– الفضاء عنصرا فعالا في الرواية وبنائها، وفي طبيعة تفاعل عناصر بنيتها كالزمان والشخصيات والأحداث

– تعتبر رواية تلك المحبة للحبيب السايح نص مرجعي للكتابة السردية فهي تختلف عن سابقاتها من الروايات من حيث الموضوع والنوعية وحتى من حيث طريقة السرد التجربة الكتابية فقد صور هذه المرة الصحراء تصويرا دقيقا بوصفها منبع الحياة ومخزون ثقافي وارض خصبة للممارسة الكتابية الروائية وهذا نظرا لاتساع فضائها وتعدد أعراقها ودياناتها .

– و من خلال دراستنا للفصل التطبيقي والذي تناولنا فيه بعض جماليات الفضاء الصحراوي في رواية تلك المحبة ،كالفقارة ....حيث اخدت الافضية مصداقية ووجود وواقعية للواقع الاجتماعي المعيشي بكل سماته ما جعلت الدارس والقارئ للنص الروائي يتأثر بالنص وكأنه جزء منه .

فلكل مكان وفضاء كانت له فعاليته سواء دل على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية او دل على حياة البؤس والشقاء.

ويمكن القول بان الصحراء كانت ملاذا لكثير من الروائيين الجزائريين سوآء بداعي الانتماء الجغرافي لهذا الفضاء أو بداعي جماليات فضائاتها وتداخل عاداتها وتقاليدها وتاريخها.

لم يتفق الدارسون على مفهوم واحد للجمالية ، حيث ان معظم آرائهم صبت حول تحديد بعض معالم الجمالية ، كما إن الجمال عندهم لا يقع على صورة واحدة ، بل يقع على صور متعددة سواء كانت في المعنى أو في الصور .

تمكن الروائي الحبيب السائح من توظيف الفضاء الصحراوي في صور جمالية رائعة ، وهذا بفضل التوظيف المالي اللغة التي تعتبر وسيلة من وسائل التعبير عن الجمالية .

وأخيرا يمكن القول بان دراستنا لهذا الموضوع ،جماليات الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية لم تكن دراسة واسعة ومستوفية لجميع جوانبها بل كانت ضيقة ومحدودة تخلو من التعمق ،وهذا ما يدل على ان الفضاء الصحراوي الذي يمتاز بالشساعة يبقى دائما بحاجة إلى من يغوص بحره من اجل كشف ما اضمر من جمالياته وخباياه.

قائمة المراجع والمصادر

القران الكريم رواية ورش عن نافع أولا :

ثانيا :المصادر العربية

1- ابراهيم صلاح ، الفضاء و لغة السرد في روايات عبد الله منيف ،الطبعة 1 ،2003، المركز الثقافي لبعربي ، بيروت لبنان .

2-أبو الفضل الدين محمد بن مكرمين منظور الإفريقي المصري , لسان العرب المجلد 15, ط4, 2005 , دار صادر للطباعة والنشر , بيروت , لبنان , ص157-158.

3- الحبيب السايح ، تلك المحبة ،دار ميم للنشر ط 1 ،2016 ، الجزائر

4- الزمخشري ، لسان البلاغة تحقيق محمد باسل منشورات دار الكتاب العلمية بيروت لبنان ،.

5- جوزيف ا.كيسنر شعرية الفضاء الروائي, ترجمة :لحسن احمامة ,2003 , إفريقيا الشرق , الدار البيضاء (المغرب) بيروت (لبنان)، ص ، 10-11

6-جابر عصفور ،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي دار المعارف القاهرة 1973ص340

7- حسن نجمي, شعرية الفضاء السردي.المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط1, 2000، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء(المغرب), بيروت(لبنان) ،

8- حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ،دار اتلامركز الثقافي العربي ط2 1902

9- حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، مطبعة النقد الأدبي العربي ، بيروت ، ط2 ،1993م

10- - ، محمد عزام ، شعرية الخطاب السردي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005

11- محمد بشير بويجرة ،محنة التأويل ، زخم المرجع و فتنة الواقع ،قراءة في اوديسا الصحراء ،منشورات دار القدس العربي .

12- محمد الحسيني الزبيدي ، تاج العروس ، المجلد 20،

13- محمد تحريشي ، في الرواية و القصة و المسرح ، 2007 ، دار دحلب للنشر

14- مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز ابادي الشيرازي الشافعي ، القاموس المحيط الجزء 3 ، الطبعة 1 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،1999 .

15- سعيد بن كراد ،سيميولوجية الشخصيات السردية ،دار مجدلاوي عمان ط1 2003

16- عبد المالك مرتاض , في نظرية الرواية ،2005 ، دار الغرب للنشر والتوزيع , وهران , الجزائر ،

17- عبد المالك مرتاض , في نظرية النص الأدبي ،2007 ، دار الهومة , الجزائر ،

18- عزوز علي اسماعيل ,شعرية الفضاء الروائي عند جمال الغيطاني ط1, .2010, دار العين للنشر ,القاهرة

19-عثمان اعتدال , إضاءة النص , ط1, 1988، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان

20-عائشة الحكمي تعالق الرواية والسيرة الذاتية شركة جوبيتر للخدمات الأكاديمية الرياض 2010

20- فتيحة كحلوش، بلاغة المكان، قراءة في شعرية المكان،1ط ،2008 ن مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت لبنان

21- نجيب محفوظ بناء الرواية دراسة مقارنة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1984

22- غاستون باشلار ،جماليات المكان . ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2، بيروت لبنان 1984 م .

المجلات و الدوريات :

1-مجلة دراسات اللغة العربية وآدابها فصلية محكمة ،العدد الرابع عشر صيف 2014م ، البنية السردية والخطاب في الرواية ،الدكتور سحر شيب ص118

2-إشكالية الفضاء و المكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، زوزو نصيرة ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد السادس ، 2010

3- الفضاء في رواية عبد الله عيسى سلامة، صلاح الدين محمد حمدي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 1، العدد1، 2011 .

4- عيسى بريهمات، هوية الفضاء في هوية الحرب العربية، مجلة الأدب واللغات جامعة الاغواط الجزائر، العدد الرابع، جوان 2005.

الرسائل الجامعية.

1 – دلالات الفضاء الصحراوي في ظل معالم السميائية ، عبد الله توام إشراف هواري بلقاسم، رسالة دكتوراه، كلية الآداب و الفنون ، جامعة احمد بن بلة وهران ، 2016/2015.

2– جماليات الخطاب السردي في رواية فضل الليل على النهار ،سهام هاشمي –سعدة دحموني، إشراف خالد عثمانيين ،رسالة ماستر، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة،2016/2015.

قائمة الفهرس

مقدمة .....ا، ب ، ج.

مدخل. .....1 ،2.

الفصل الأول : مقاربة نظرية أهمية الفضاء في الخطاب السردي

المبحث الأول: الفضاء لغة و اصطلاحا.....4

المبحث الثاني: أنواع الفضاء.....8

المبحث الثالث : علاقة المكان (الفضاء) بالإنسان.....12

المبحث الرابع : دور الفضاء في الخطاب السردي.....13.

الفصل الثاني : الجمالية في رسم معالم الفضاء الصحراوي

المبحث الأول: تعريف الجمالية لغة اصطلاحا (العرب والغرب) 16

المبحث الثاني: دور الوصف في رسم معالم الجمالية.....21

المبحث الثالث: جدل الفصاء و الزمان و الشخصيات في الأعمال الروائية..... 22.

المبحث الرابع: دور اللغة في رسم معالم الجمالية.....26

الفصل الثالث : نماذج من رواية تلك المحبة

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن المؤلف المؤلف 32

المبحث الثاني :..التوظيف الجمالي في العمل السردي من خلال رواية تلك المحبة.....34

المبحث الثالث ملخص الرواية 38

المبحث الثالث : زخم الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية.....44

المبحث الرابع: دور الفضاء في رسم معالم الجمالية 46
- خاتمة.....47
- قائمة المصادر و المراجع 50
- قائمة الفهرس.....53